البُعْدُ النَّفسِيُّ فِي نَقَائِضِ جَريرٍ والفَرزَدَقِ والاخطل

م.د. عبدالحسين برغش عبد علي

المديرية العامة للتربية في محافظة البصرة

ملخص البحث:

لَقَد لَقِيَتْ سِيرةُ كُلٍّ مِن جَرِيرِ ابنِ عَطيَّةَ الخَطفَى[١]، والفَرزدَق[٢] هَمَّامِ بنِ غالَبِ بنِ صَعصَعةَ التَّمِيمِيَّيْنِ جَدَلًا واسِعًا، ونِقاشًا حَادًّا؛ لِارتِباطِهَا قَدِيمًا بِنَوعٍ نُسِبَ إلَيهِمَا –بَداءَةً– ابتِكارُهُ مِن الشِّعرِ، وَهُوَ النَّقائضُ الشِّعريَّةُ، تِلكَ الَّتي كَانَ مُرتَكَزُ بِنيَتِهَا الفَنِّيَّةِ عَلَى مَا ارتَكَزَ عَلَيهِ شِعرُ الهِجاءِ فِي عُمومِ أَمرِهِ، غَيرَ أنَّ لِلنَّقائضِ مِن التَّمايُزِ عَنِ الهِجاءِ بِمَا سَنَقِفُ عَلَى جُملَةِ أُصولِهِ فِي مَحلِّهِ مِن الدِّراسَةِ، وقَد أغفَلَ جُلُّ مَن خَاضُوا لَجَّةَ التَّحلِيلِ النَّقدِيِّ فِي شِعرِ هَذَينِ الفَحلَينِ، جَانِبًا غَايَةً فِي الأَهَمِّيَّةِ مِن جَوانِبِ المُكَوِّنِ الفَنيِّ لِنقائضِ هَذَيْنِ الشَّاعِرَينِ، هُوَ مَا دعَّ بِهِمَا دَعًّا إلَى حَلْبَةِ التَّصارُعِ مَعًا مِن نَاحِيَةٍ، وكلٌّ مِنهُما مَعَ الأَخطَلِ النَّصْرانيِّ مِن نَاحِيَةٍ أُخرَى، إنَّمَا أعنِي الغُلافَ النَّفسِيَّ والإطَارَ الوجدَانِيَّ الَّذي تسَنَّمَاهُ وُصُولًا إلَى مَا وَصَلَا إلَيهِ مِن المُضِيِّ قُدُمًا فِي النِّزالاتِ الَّتي انعَقَدَتْ لَهَا الأَندِيَةُ، وحُمِلَتْ لَهَا الأَلوِيَةُ بينَهُمَا.

الكَلِمَاتُ المفتَاحِيَّة: النَّقَائضُ، الأُسلُوبِيَّةُ، التَّحلِيلُ النَّفسيُّ لِلنَّقائض، البِنيَةُ الفَنِّيَّةُ، الدَّوافِعُ الوُجدَانِيَّةُ .

The psychological dimension in the antitheses of Jarir, Al-Farazdaq and Al-Akhtal

Lect. Dr. Abdul-Hussein Barghash Abd Ali

The General Directorate of Education in Basra Governorate

Abstract:

The biographies of each of Jarir Ibn Attia Al-Khatfi and Al-Farazdaq received sparked controversy and intense debate because they were associated in the past with a type of poetry attributed to them, which is called the poetic contradictions. Those which artistic structure was depending on what satire poetry based on in general. However, contradictions have a distinction from satire, as we will look at a number of its origins through the study. Most of those who delved into the critical analysis of the poetry of these two poets overlooked a very important aspect of the artistic component of the contradictions of these two poets. That's what called for them to fight with each other on the one hand, and each one of them with the Christian al-Akhtal on the other. The research also mentioned the psychological and conscience frame which have been taken to reach what they have reached in terms of moving forward in the fights for which the clubs were held.

Key words: stylistic contraries, psychoanalysis of contradictions, artistic Structure of emotional motives .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد (أ) – المجلد ٤٨ – آذار لسنة ٢٠٢٣

المُقَدِّمَةُ

لَا يَخفَى عَلَى ذِي بَصيرَةٍ مِن مُتاعطِي أدَبِ العَربِيَّةِ –شِعرًا ونَثراً– مَا يَقَعُ فِيهِ بينَ الحِينِ والحَينِ مِن التَّغيير فِي عَناصِرِ صياغتِهِ الفنيَّةِ، لَا مُقوَّماتِهِ البِنائيَّةِ، حَيثُ يَأخذُ شَكلًا يَختلِفُ فِي مَضمونِهِ عمَّا كَانَ عَلَيهِ فِي الأعصُرِ السَّابِقَةِ، تَناسُبًا مِعَ مُعطياتِ العَصرِ الَّذي يَحلُّ عَلَيهِ ضَيفًا مُلازِمًا، وقِيَمِهِ الاجتماعِيَّةِ، ومُقوَّماتِهِ الحَضَارِيَّةِ؛ فَإنَ الأدبَ –بِوصفِهِ لِسانَ حَالِ زمَنِهِ، ومَخاضَ ثَقافَةِ مُجتَمَعِهِ– يقعُ فِيهِ مِن الاختِلافِ والتَّغايُرِ عَن سَوابقِهِ مَا يَنِمُّ عَن انفرادِهِ وتميزه بِنعُوتٍ خَاصَّةٍ فِي الطَّرِيقَةِالفنيَّةِ لِإنشائِهِ وصِناعَتِهِ، وهذا الاختِلافُ فِي أدبِ العَربيَّةِ لَا يَقعُ للشَّعرِ كَما يَقعُ فِي النثر؛ لِخصوصيَّةٍ امتازَ بِهَا الشَّعرُ عَن النَّثر فِي الأعصُرِ الَّتي مرَّ بِهَا كَافَّةً، ابتداءً مِن زَمَنِ ابتكارِهِ لَدَى العَربيِّ القديمِ عَلَى صُورةٍ تَكادُ تَكونُ هِيَ صُورَتَهُ الَّتي هَوَ عَلَيهَا بينَ أيدِينَا الآنَ، أو تُقارِبُهَا فِي القالِبِ والعَمودِ، انتهَاءً بِزمَنِنَا هَذا، فَإنَّ للعَرَبِ مَزيَّةٌ عَلَى غَيرِهِم فِيهِ نَتَجَتْ عَن قُدرَتِهِ علَى امتلاكِ نَواصِي العِبادِ، والأخذِ بمجامعِ قُلوبِهِم فِي كلِّ وادٍ ونَادٍ، ولِسهولَةِ حَفظِهِ والمُشافَهَةِ بِهِ، ولحَملِهِ لِواءَ تَاريخِ العَربِ.

غَيرَ أنَّ شَيئًا انفَرَدَ بِهِ فِي كلِّ زمنٍ عن سَابقِهِ أعانَ عَلَى اتِّكاءِ العَربيِّ فِي تَفسيرِ مَضمونِهِ وتَحليلِ مُحتواهُ، ذلكَ أنَّ شُعراءَ العَربيَةِ طَوَّعُوا الشَّعرَ تَبَعًا لِرَغباتِهِم، ووَفْقًا لِمُيولِهِم، فَاتَّفقَ لَهُم الوصُولُ بِهِ إلَى أعلَى دَرجاتِ الإجادَةِ زَمَن دَولَةِ بَني أُميَّةَ، عَلَى يَدِ كَثيرٍ مِن الشُّعراءِ، وخَصصنَا هُنا فِي دَائرَةِ تِلْك الدَّراسَةِ شَاعِرَينَ ارتَبطَتْ طَرقَ نَظمِهِمَا لشعر التَّهاجِي بِاسمَيهِمَا ارتباطًا وَثيقًا؛ فَلا يَكادُ يَتكلَّمُ مُتكَلِّمٌ عَن شِعْرِ (النَّقائضِ) إلَّا مَقرونًا ذِكرُهُ بِجريرٍ والفَرزدَق.

وَهذا مَركزُ دَورانُ المَادَّةِ البَحثيَّةِ فِي هَذِهِ الدَراسَةِ، بيدَ أنِّي انتَحَيتُ بِهَا مَنحًى جَديدًا لَا اعتِقدَ لِي فِي أنَّ أحدًا سَبقَنِي إلَيهِ، اتَّخذتُهُ سَبيلًا مُوصلًا إلَى الحَديثِ عَن البَواعثِ الوجدانيَّةِ، والدَّوافِعِ النَّفسيِّةِ الَّتي أدَّتْ بِكلا الشَّاعِرَينِ إلَى طَرْقِ بَابِ النَّقائضِ بِمَا لَم يُسبَقَا إلَيهِ، عَلَى أن أطرُقَ هَذا الجَانِبَ مِن بَابِ الأُسلُوبيَّةِ، حتى أقِفَ بِهَا عَلَى الوازِعِ النَّفسيِّ والوجدانيِّ الكَامِنِ وَراءَ تَماهِي هَذَيْنِ الشَّاعِرَينِ مَعَ النَّقائضِ الشَّعريَّةِ، فَجاءَتْ مَادَّةُ الدِّراسَةِ مُنعَقِدَةً فِي مُقدِّمَةٍ، وأربعَةِ مَباحث، وخاتِمَةٍ، عَلَى هَذا النَّحوِ:

- **المبحث الأوَّلُ: تَاريخِيَّةُ شِعرِ النَّقائضِ.**
- **المبحث الثَّانِي: دَوافِعُ شِعرِ النَّقائضِ عِندَ الفَرزدَق، وجَرِيرٍ، والأخطَلِ.**
- **المبحث الثَّالثُ: آثَارُهُ الفَنِّيَّةُ فِي التُّراثِ الشَّعريِّ.**
- **المبحث الرَّابعُ: البَواعِثُ الكَامِنَةُ وَراءِ شِعْرِ النَّقَائضِ لَدَى جَرِيرٍ والفَرزدَق.**

- **المبحث الأوَّلُ: تَاريخِيَّةُ شِعرِ النَّقائضِ:**

لِمَا بَينَ شِعرِ النَّقائضِ وَجريرٍ، والفَرزدَق، وَمَعَهُما الأخطَلُ النَّصرانيُّ مِن شِدَّةِ الاتِّصالِ والارتِباطِ، حتَّى إنَّ النَّقائضَ لَا تُذكرُ إلَّا مَصحُوبةً بأسمائِهم، مَقترِنةً بِشِعرِيَّتِهم اقتران السَّماءِ بِالمَطَرِ، والفُروعِ بِالشَّجَرِ، أرجَعَ أكثرُ النقاد ابتكارَ ذلكَ النَّوعَ مِن شِعرِ التَّهاجي إلَيهِم وَألصَقَهُ بِهِم؛ فَوَصلَهُ بِهِم تَاريخِيًّا، مُرتَكِزًا فِي تَقريرِ رُؤيَتِهِ عَلَى كَلامِ بِعضِ النُّقَّادِ العَرَبِ القُدَامَى مِن أمثِلَةِ، ابنِ سَلَّامٍ الجُمَحِيِّ فِي طَبَقَاتِهِ، الَّذي نَوَّهَ –ضِمنًا– فِيمَا سَاقَهُ مِن نُصُوصٍ عِندَ إجراءِ الكَلَامِ عَلَى طَبقَاتِ الشُّعَراءِ الإسْلَامِيِّينَ، بِأنَّ ولَهَ كُلٍّ مِن هَذَينِ الشَّاعِرِيْنِ بِالتَّهاجِي وكلَفَهُمَا بِهِ رَاجعٌ لاعتِناءِ كُلٍّ مِنهُمَا بِشِعرِ الهِجاءِ عَامَّةً، والنَّقائضِ بِوصفِهِ فَرعًا عَلَيهِ –خَاصَّةً– إلَى طَبيعَةٍ رَاسِخَةٍ فِي نَفسِ كلٍّ مِنهُما، تدفعُ بِهِ إلَى الإقذاعِ في الهِجاءِ لِأوَّلِ وَهلَةٍ مِن مُجاوَزَةِ أحَدَهِم الحَدَّ المُسموحَ لَهُ بِهِ فِي التَّعامُلِ مَعَ أحَدِهما، وَكانَ فِي طَبعِ كَلا الشَّاعِرِينِ بَداوةٌ وغلظَةٌ، غَير أنَّهَا أخفُّ عِندَ الفَرزدَقِ مِن جَريرٍ، ولَا أدلَّ علَى هَذَا مِن نَصِّ ابنِ سَلَّامٍ فِي الكلامِ عَلَى طَبَقَةِ جَريرٍ، نَقلًا عَن يحيى بنِ يَزيدٍ: " فَخرَجتُ مِن عِندِهِ فَأتيتُ ابنَ سِيرِينَ، فَإذا عِندَهُ جَريرٌ يَنشُدُهُ وَيُحدِّثُهُ، قلتُ: هذَا صَاحبُ بَاطلٍ فَتركتُهُما فَندِمتُ... "[٣]

فَيمَا رَاحَ كذلكَ يُثبِتُ لِلفرزدَقِ نُعوتَ الغلظَةِ والبذاءَةِ بِقولِهِ: " أَتَى الفَرزدَقُ الحَسَنَ، فَقَالَ إنِّي قَدَ هجَوتُ إبلِيسَ فَاسمَع، فَقالَ لَا حَاجَةَ لَنَا بِمَا تقُولُ، قَالَ لَتسْمَعنَّ أَو لَأَخرُجَنَّ فَأقُولَ للنَّاسِ أنَّ الحَسَنَ يَنهَى عَن هِجاءِ إبلِيسَ، فَقَالَ الحَسَنُ (رَضِيَ اللهُ عَنهُ) اسكُتْ فَإنَّكَ عَن لِسانِهِ تَنطِقُ" [٤]

وقَد أرجعَ أبو عُبيدَةَ مَعمَرُ بنُ المُثنى الخُصومَةَ القَائمَةَ بَينَ كِلاَ الشَّاعِرِيْنِ الأُمَوِيَّيْنِ جَريرٍ وَالفَرزدَقِ إلَى جَدَّيهِمَا، فِي امرَأةٍ كَانَت تُسمَّى (بَكْرَةَ بنتَ مُلَيْصٍ) وكانَتْ تَحتَ رَجُلٍ اسمه (تَمِيمَ بنَ عُلاثَةَ) فضرَبَهَا فشجَّهَا، فَلَقاهُ أخُوهَا فَلامَهُ عَلَى ضَربِ أُختِهِ فَوقَعَ بينَهُما لَحاءٌ، فَضَربَ تَميمٌ أخَ زَوجتِهِ فشجَّ أُمَّ رَأسِهِ، فَحملَ هِلالُ بنُ صَعصَعَةَ جُزءَ الدِّيَةِ إلَى بَنِي كَعبِ بنِ الحَارثِ بنِ يَربوعٍ، فَالتَأَمَ مَا بَينهُمَا عَلَى دَخَنٍ، إلَى أن اجتَورَ بَنُو جُحَيشٍ، وهُم بَعضُ قَومِ الفَرزدَقِ، وَبَنُو الخَطَفَى، وهُم قَومُ جَريرٍ، فَتَنازَعُوا فِي غَديرٍ بِالقَاعِ، فَجَعَلَتْ بَنُو الخَطَفَى تُهجِّيهِم، وكانَ بَنُو جُحَيشٍ مُفحَمِينَ لَا يَقولُونَ الشَّعْرَ، فاستَعانُوا بِـــ(غسَّانَ بنِ ذُهَيلٍ)، وهوَ أحدُ بَنِي عُمومَتِهِم، عَلَى بَنِي الخَطَفَى فَهَجاهُم، وكانَ جَريرٌ وَقتَئذٍ لَم يَزلَ يَرعَى فِي غَنَمِ أبيهِ، لَم يَقُلِ الشَّعرَ بَعدُ، فَلتفت جَريرٌ إلَيهِ لَمَّا رَآهُ يَهجو قَومَهُ، وَهُو يُسَألُهُم: مَا هذا، فَقالُوا هَو غسَّانُ بنُ ذُهَيلٍ يُنشِدُ بِنَا –أي يَهجونَا– فَقالَ احمِلُونِي عَلَى بَعيرٍ، فَجاؤوا لَهُ بِقَعُودٍ فَحمَلُوهُ عَلَيهِ، وأَقبَلَ حتَّى أشرَفَ عَلَى غسَّانَ وَجَمَاعَتِهِ، فَرَجَزَ بِهِم، وَهوَ أَوَّلُ شِعرٍ بِقُولُهُ[٥]:

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد (أ) – المجلد ٤٨ – آذار لسنة ٢٠٢٣

لا تَحسَبَنِّي عَن سُلَيطٍ غافِلا إِن تَعْشُ لَيلا بِسُلَيطٍ نَازِلَا
لَا تَلْقَ قِرانًا، ولَا صَواهِلَا ولَا قِرًى لِلنَّازِلِينَ عَاجِلَا

بَيدَ أنَّ أمرًا لَا بُدَّ مِن أن يُؤخذَ بِعينِ الاعتِبارِ عِندَ التَّعَرُّضِ لِمُناقشَةِ تَاريخيَّةِ وَأوَّلِيَّةِ ظُهورِ شِعرِ النَّقَائضِ لَدَى العَرَبِ؛ فَإنَّ فِي اللَّفتِ إلَيهِ والتَّنبيهِ علَيهِ ضَرورَةً قَد تنزل بِالدَّارسِ والبَاحِثِ فِي ظَاهرةِ النَّقائضِ الشَّعريَّةِ عَلَى مَا لَم يَكُن يَتعَيَّنُ عِندَهُ فِي صَدَدِهَا.

ذلكَ أنِّي بِمُطالَعَةِ شِعرِ شُعراءِ الصَّدرِ الأوَّلِ للإسلامِ وَقفتُ عَلَى أنَّ أصلًا قَديمًا لِشعرِ النَّقائضِ أطَلَّ برَأسِهِ علَينَا، عِندَ حَسَّانَ بنِ ثَابتٍ فِي تَلاقيهِ معَ بَعضِ شُعراءِ الجَاهِلِيَّةِ والإسلامِ، وفِي هَذَا مِن الجَزمِ بِأنَّ لِشعرِ المُناقَضَاتِ أصلًا يُرجَعُ بِهِ إلَيهِ قَبلَ تَلاقي الفَرزدَقِ وَجريرٍ بِهِ فِي نَهايَةِ القَرنِ الأوَّلِ مِن الهِجرَةِ ، مَا يُحكَمُ مَعَهُ بِأنَّهمَا مَسبُوقَانِ إلَيهِ، غَير أنَّهُمَا بَرَعَا فِيهِ وتَفوَّقَا عَلَى مَن سِواهُمَا بِكثرة التَّهاجِي عَلَى مِنوالِهِ، وإنَّ مِن مُنقاضَاتِ حَسَّانَ بنِ ثَابتٍ فِي الإسلامِ قَولَهُ رَدًّا عَلَى أَبي سُفيانَ بنِ حَربٍ عَلَى نَغمِ [بَحرِ الطَّويلِ] موظِّفًا البَحرَ والرَّويَّ ذاتِهِ هَاجِيًا إيَّاهُ(٦):

ذَكَرْتَ القُرُومَ الصِّيدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَلَسْتَ لِزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبِ
أَتَعْجَبُ أَن أَقصَدْتَ حَمزَةَ مِنْهُمُ نَجِيبًا وَقَد سَمَّيتَهُ بِنَجِيبِ

وكَانَ أبو سُفيانَ سَبقَهُ نَظمًا عَلى نَغمِ [بَحرِ الطَّويلِ] مُفَاخِرًا بِجَلَدِهِ وتوثُّبِه عَلَى حَنظَلَةَ بنِ أَبي عَامرٍ، ومُعاوَنَةِ صَاحِبِهِ ابنِ شَعوبٍ شدَّادِ ابنِ أوسٍ لَهُ فِي قَتلِهِ، بقولِهِ(٧):

وَلَو شِئْتُ نَجَّتْنِي كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ وَلَم أَحمِلِ النَّعمَاءَ لابنِ شَعوبِ
فَمَا زَالَ مُهْرِي مَزجَرَ الكَلْبِ مِنهُمُ لَدُنْ غَدوَةً حتَّى دَنَتْ لِغُرُوبِ

ولَهُ رَدٌّ عَلَى أُميَّةَ بنِ خَلَفٍ الخُزاعيِّ عَلَى شَاكِلَةِ شِعرِ النَّقائضِ، وكَانَ قَد هَجاهُ، قَولُهُ عَلَى نَغمِ [الوَافِرِ](٨):

أَتَانِي عَن أُمَيَّةَ ذَرْوَ قَولٍ وَمَا هُوَ بِالمَغِيبِ بِذِي حِفَاظِ

ذلكَ أنَّ أُمَيَّةَ قَد عَرَضَ لِحَسَّانَ بِالهِجاءِ، بِقَولِهِ عَلَى بَحرِ [الوافر](٩):

أَلَا مَنْ مُبَلِّغٌ حَسَّانَ عَنِّي مُغَلغَلَةً تَدِبُّ إِلَى عُكَاظِ

ويَظهَرُ مِن هذَا أنَّ لِشُعراءِ الصَّدرِ الأوَّلِ مِن الإسلامِ مَعرفةً سَابِقَةً عَلَى مَعرفَةِ جَريرٍ والفَرزدَقِ بِشعرِ النَّقائضِ، فَإنَّ أوَّلِيَّةَ ابتكارِ هذَا النَّوعِ مِن الهِجاءِ لَا تُنسَبُ إلَيهِمَا، وقَدِ اعتمَدَ هَذا الرَّأيَ الأُستاذُ: مَحمد حمدِي الشَّعار بِقولِهِ: واكثر المَزاعِمِ عَلَى أنَّ لِجريرٍ والفرزدَقِ السَّبقَ إلَى ابتِكارِ شِعرِ النَّقائضِ، وَإلحَاقِهِ بِالهِجاءِ فِي عَصرِ بَنِي أُمَيَّةَ، والأصلُ الَّذي لَا مَناصَ مِن الرُّكونِ إلَيهِ؛ لِظهورِهِ ظُهورَ الشَّمسِ فِي رَابِعَةِ النَّهارِ، أنَّ لِحسَّانَ ابنِ ثَابتٍ وَبعضِ شُعراءِ الجَاهِلِيَّةِ عِرفانًا بِشِعرِ المُناقَضَاتِ سَابقًا عَلَى عِرفانِ شَاعِرَي بَنِي أُمَيَّةَ بِهِ(١٠).

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١(أ) – المجلد ٤٨ – آذار لسنة ٢٠٢٣

وفيمَا ذكرنَاهُ دَليلٌ واضحٌ عَلَى أنَّ لِشعرِ النَّقائضِ طَرْقًا عِندَ قُدامَى شُعراءِ العَربيَّةِ مِمَّا ضَربنَا لَهُم الأمثالَ، سَبقُوا بِهِ أكثَرَ الشُعراءِ اشتهارًا بِهِ فِي أوساطِ النقَّادِ، وقَد يكونُ لِغيرِهِم ممَّن سَبقَهُم فِيهِ بَاعٌ – أيضاً غَيرَ أنَّ ذِياعَ هَذا اللَّونِ عَلَى يَدِ جَريرٍ والفَرزدَقِ والأخطَلِ جعَل مِنهُم أعلامًا لهُ؛ حتَّى إنَّهُ لَا يُذكَرُ إلَا مُصاحِبًا لِأسمائِهِم، ولَا يَرِدُ بِهِ حَديثٌ إلَا مُقترِنًا بِشعرِهِم.

غَير أنَّ هَذا لَا يَعنِي بَالقَطعِ أنَّ ابتِكارَهُ راجعٌ إلَيهِم، ولَا أنَّ مخَاضَهُ كانَ عَلَى أيدِيهِم، بل إنَّ الدليلَ والاستِقراءَ لِمادَّةِ الأدَبِ العربيِّ القَدِيمِ جَزمَ بِخلافِ ذلِكَ.

والسُّؤالُ هُنا عَن دَورِ شُعراءِ بَنِي أُمَيَّةَ فِي شِعرِ النَّقائضِ..؟

وَجوابُهُ: أنَّ أثَرَ إعمالِ قَرائِحِهِم فِي شِعرِ النقائض، وشِدَّةِ اعتِنائِهِم بِهِ ظَهَرَ جَلِيًّا فِي غَزارَةِ إنتاجِهِ إلَى الحَدِّ الَّذي دَفَعَ أكثر النقاد إلَى القَولِ بِأنَّ ابتكارَهُ وتَاريخِيَّةَ نَشْأتِهِ مردُّهَا إلَيهِم، وَفِي حِرصِهِم عَلَى الَإكثارِ مِن الأخيلَةِ والتَّصويرِ غَيرِ المُفرِطِ فِيهِ بِما لَم يَكُن لِحسَّانَ ولَا لِقيسِ بن الخَطيمِ ولَا لَغيرِهَما ممِّن سَبقُوا إلَى النَّقائضِ بِهِ عَهْدٌ.

كَمَا اتَّسمَتْ نَقائضُ جَريرٍ والفَرزدَقِ بِكثرة المَاءِ، ووَفرَةِ المَادَّةِ، وَطَلَاوَةِ المَعانِي، واشتِمالِهَا عَلَى التَّأريخِ لِكَثيرٍ مِن الأحداثِ الَّتي لَولا تِلكَ النَقائضِ لَذهَبَتْ أدراجَ الرِّياحِ، ومِن ذلِكَ مَا سَنُبيِّنُهُ فِي مَوضِعِهِ مِن البَحثِ عِندَ الحَديثِ عَلَى عَناصِرِ الخِطابِ الشَّعريِّ للنَّقائضِ.

المبحث الثَّانِي: دَوافِعُ شِعرِ النَّقائضِ عِندَ الفَرزدَقِ، وجَريرٍ:

إنَّ لِكُلِّ شَيءٍ مَخاضًا وَمولِدًا، ولَم يَكُن شِعرُ المُناقَضَاتِ لِيُولَدَ عَفْوًا فِي فَراغٍ أيدلوجيٍّ، ولَا لِيظْهَرَ بِلا سَبَبٍ يَعملُ عَلَى اللُّجوءِ إلَيهِ وتَقنِينِ ضَوابطِهِ، الَّتي مِن أهمِّهَا الاتكاء عَلَى التَّهاجِي بَينَ شَاعِرِيْنِ أو أكثَرَ، بِالاعتِمادِ علَى ذَاتِ الوَزنِ والبَحرِ المَنظومِ فِيهِ، وعَيْنِ الرَّويِّ المُقفَّى بِهِ هَذا النَّظمُ.

بَل لَا بُدَّ مِن أنَ فِي المَسْأَلَةِ تَرتيبًا مُسبقًا اضطرَّ أسبقَ الشَّاعِرَيْنِ إلَى النَّظمِ، والتَّعويلِ عَلَى الهِجاءِ بِصِفَةٍ عامَّةٍ فِي الدَّفعِ عَن نفسِهِ، أو الحَطِّ مِن مَكانَةِ ومنزِلَةِ مَن يَهجوهُ، فحَمَلَ الشَّاعرَ الأخيرَ مِنهُمَا عَلَى الرَّدِّ، مُعوِّلًا عَلَى الهِجاءِ المُناقِضِ بِإجراءِ نَظمِهِ فِي نفسِ مَجرَى نَظمِ الشَّاعرِ السَّابقِ نفسهُ الَّذي بَدَأَهُ بِالهِجاءِ؛ وهَذا مِن بَابِ إبرازِ القُدرَةِ عَلَى المُجاراةِ، وإظهارِ مَدَى مَا اتَّسمَ بِهِ مِن سَعَةِ الثَّقافَةِ والإبحارِ فِي عُلومِ العَرَبيَّةِ وفُنُونِهَا.

وقَد أَلْمَحْنَا سَالِفًا إلَى مَا كَانَ بَينَ قَبيلَتَي الفَرزدَقِ وجَريرٍ مِن المُنافَراتِ والعَدَائيَّةِ المُفرِطَةِ، الَّتي بَدَأتْ بِشجِّ تَميمِ بنِ عُلَاثَةَ امرأَتَهُ، وانتَهَتْ إلَى حربٍ سِجالٍ بينَهُمَا اتَّخذَتْ –عَلَى عَادَةِ العَرَبِ فِي حُروبِهِم الجَاهِلِيَّةِ– أيَّامًا، فَاندَفَعَ جَريرٌ فِي بِدايَةِ الأمرِ إلَى الذَّبِّ عَن قَومِهِ فِي مُواجَهَةِ غَسَّانَ بن ذُهَيلٍ، أحَدِ بَنِي عَمِّ بَنِي صَعصَعَةَ قَبيلَةِ الفَرزدَقِ هَمّامِ بنِ غَالِبِ بنِ صَعَصَعَةَ، ولَم يَكُن قَد أَسَنَّ، وتَابَعَهُ عَلَى ذلِكَ الفَرزدَقُ هَاجِيًا جَريرًا وقَومَهُ بَنِي تَميمٍ، بعدَمَا تَحوَّلَ جَريرٌ بِالهِجاءِ إلَيهِ، وظَلَّا يَتهاجَيانِ زَهَاءَ الأربَعِينَ سَنَةً، معَ مَا كَانَ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد (أ) – المجلد ٤٨ – آذار لسنة ٢٠٢٣

بينَهُمَا مِن الودِّ فِي غَيرِ الشَّعرِ والمُنافَراتِ القَبَلِيَّةِ، فَإنَّ أَوَّلَ عهدِ كلٍّ مِنهُمَا بِهجاءِ صَاحبِهِ تِلكَ المُنافَراتُ العدائية، وقد شهد نص جرير الذي ساقه ابن سلام في الطبقات على ما بينهما من الود : "...عَن عِكرِمَةَ بنِ جَريرٍ أنَّ جَريرًا قالَ: نَبعَةُ الشِّعرِ الفَرزدقُ"(١١)

ولمَّا مَاتَ الفَرزدَقُ، وبلغَ الخَبَرُ جَريرًا أطرقَ طويلًا ثمَّ بَكَى ورَثاهُ بِقَولِهِ(١٢):

فُجِعْنَـــا بِحَمَّـــالِ الـــدِّيَاتِ ابـــنِ غَالِـــبٍ وَحَـــامِي تَمِـــيمٍ عِرضَـــهَا وَالبَـــرَاجِمِ

هذا، وقَد كَانَ لِكلٍّ مِنهُمَا فِي شِعرِهِ نَزعةٌ تُميزه عَن صَاحبِهِ، وكَانَ لَا يُفضَّلُ أحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ فِي مُطلَـقِ الأمرِ، بَل كَانَ يُحكمُ لِأحَدِهما عَلَى الآخَرِ فِي المَجلِسِ؛ ولكنّ يُونُسَ بنَ حَبيبٍ الضَّبيِّ، والمفضَّلُ الضَّبيُّ كانَا يُقَدِّمَانِ الفَرزدقَ عَلَى جَريرٍ، غيرَ أنَّ ابنَ دَأبٍ قَالَ، وَقَد سُئِلَ عنهُما: "الفَرزدَقُ أَشعَرُ عَامَّةً، وَجَرِيرٌ أَشْـعَرُ خَاصَّةً"(١٣)

ومَعَ مَا أسلفنَا ذِكرَهُ مِن تَقدِيمِ كَثِيرٍ مِن الشُّعراءِ والنُّقَّادِ واللُّغَوِيِّينَ للفَرزدَقِ عَلَى جَريرٍ، كَانَ الفَرزدَقُ يَنتَقِعُ لَونُهُ إذَا أنشَدَ أحدُهُم شِعرًا لِجريرٍ أمامَهُ؛ مَخافَةَ إصابتِهِ الغَرَضَ مِنهُ، وكانَ لَا يَقدِرُ الأخطَلُ ولَا الفَرزدَقُ عَلَى جريرٍ فِي التَّلاقِي بِالشِّعرِ، وقَد أصَابَ ابنُ سَلَّامٍ مِن هذَا جَانِبًا بِقولِهِ: "...قَالَ سَلَمَةُ بنُ مُحارِبٍ: كانَ الفَرزدَقُ عِندَ أَبِي فِي مَشرفَةٍ لَهُ، فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَقَالَ: وَرَدَتِ اليَومَ المربَدَ قَصِيدةٌ لِجَريرٍ تَناشَدَهَا النَّاسُ، فَانتَقَعَ لَونُ الفَرزدَقِ، قَالَ: لَيستْ فِيكَ يَا أَبَا فِراسٍ، قَالَ: فَفِيمَن..؟ قَالَ: فِي ابنِ لَجَأَ التَّيْمِيِّ..."(١٤)

وَمِن هُنا تَوجَّبَ عَلَينَا الوُقوفُ قَليلًا عِندَ أهمَّ دَوافعِ النَّزعَةِ الشَّعريَّةِ الهجائيَّةِ لَدَى كلٍّ مِن الشَّاعِرَينِ؛ إبرازًا لِمَا تضمَّنَتْهُ تِلكَ النَّزعَةُ مِن تَأثِيراتٍ نَفسيَّةٍ ووُجدانِيَّةٍ اشتَمَلَتْ عَلَيهَا لُغَةُ النَّصِّ التَّوصيلِيَّةِ، وتَراكِيبِهِ، وَأبنِيَتِهِ، وأخيلَتِهِ الفَنِّيَّةِ بِتعبيرٍ رَشيقٍ أصَابَ بِهِ كلٌّ مِنهُما دَقيقَ المَعانِي، فَأعانَتْهُمَا عَلَى صَهرِ تَجارِبِهِمَا الشَّعريَّةِ فِي هَذا التَّنُّورِ؛ إذْ لَو لَم تَتَوفَّر الحَاجَةُ، ويَتهَيَّأ المناخُ الشَّعريِّ المُناسبِ لِهذِهِ النَقائضِ، مَا كَانَت لِتشهَدَ النُّورَ، ولَو شَهِدتْهُ، مَا كَانَتْ لِتَتَنَاقَلَهَا الأجيَالُ المُتعاقِبَةُ عَلَى سَبيلِ الإشَادَةِ بِهَا، واستِلهامِ رُوحِ الصَّرَاعِ القَبَلِيِّ فِي تِلْكَ الحِقبَةِ التَّاريخيَّةِ، واشتِمَامِ عَبَقِ صَحِيحِ اللُّغَةِ مِنهَا، وَإنَّ مِن أهَمِّ مَا تَلبَّسَ بِهِ كلٌّ مِنهُما مِن العَوامِلِ النَّفسيَّةِ والوجَدانِيَّةِ المُؤَدَّيَةِ بِهِمَا إلَى الإمعانِ فِي تَهاجِيهِمَا كلَّ هَذا الزَّمَنِ:

ـــــــ النَّزعَةُ القَبَلِيَّةُ : نُشُوبُ المُنافَراتِ بَينَ عَشِيرَتَيهِمَا لِنَفْسٍ وحِقْدِ عَشِيرَةِ جَريرٍ عَلَى عَشِيرَةِ الفَرزدَقِ لِتَحصِيلِ الأَخِيرَةِ مَجدًا قَديمًا عَلَى الأُولَى، غَير أنَّ مَا يَظهرُ مِن شِعرِ جَريرٍ فِي هَجاءِ الفَرزدَقِ، ومَهَابَةِ الفَرزدَقِ وانتِقاعِ لَونِهِ لِشيءٍ نَظمَهُ جريرٌ يُغايرُ تِلكَ الحَقِيقَةَ، بَل ويُؤَيِّدُ نَقِيضَهَا؛ حيث يَأخذُ مِنكَ العَجَبُ كلَّ مَأخذٍ حِينَ تُنشِدُ القَصيدَةَ الدَّامِغَةَ لِجريرٍ فِي الرَّاعِي النُّمَيرِيِّ، والَّتِي مِنهَا(١٥):

فَغُـــضَّ الطَّـــرفَ إنَّـــكَ مِـــن نُمَيـــرٍ فَلَـــا كَعْبًـــا بَلَغْـــتَ وَلَـــا كِلابَـــا

وكَانَ قَد أيَّدَ الرَّاعِي النميري الفَرزدَقَ عَلَى جَريرٍ فِي بَعضِ شأنِهِ، وانتصَرَ لَهُ عَلَيهِ، فَأثَارَ ذلِكَ حَفيظَةَ جَريرٍ عَلَيهِ لِتدخُّلِهِ بينَ ابنَي العمِّ؛ فَأقذَعَ فِي هَجائِهِ بِتلكَ الدَّامِغَةِ.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ (أ) – المجلد ٤٨ – آذار لسنة ٢٠٢٣

ـــــــــ الرَّغبَةُ فِي إثباتِ الذَّاتِ، وتَحقيقِ الكِيانِ الشَّعريِّ الخَاصِّ بِكُلٍّ مِنهُمَا، لَاسِيَّمَا فِي سُوقِ المِربَدِ الَّذي ذَاعَتْ فِيهِ أنباءُ الشَاعِرَيْنِ بتَهاجيهما فِيهِ، فَعَمَدَ كُلٌّ مِنهُمَا إلَى إبرازِ مَواهِبِهِ ومَلَكَاتِهِ، وَحِرصِهِ عَلَى الظَّفَرِ بِصاحِبِهِ عَلَى أعيُنِ الأشهَادِ، وَقَد ذَكَرَ ابنُ قُتَيبَةَ مَشهدًا مِن هَذِهِ المَشاهدِ بينَ جَرِيرٍ والفرزدَقِ تَبادَلَا فِي التَّهاجِي فِي هَذا السُّوقِ، وكَانَ الظَّفَرُ لِجريرٍ عَلَى الفَرزدَقِ فِيهِ، والقِصَّةُ فِي مُعجَمِ البُلدَانِ[١٦].

ـــــــــ الوَازِعُ النَّفسيُّ الَّذي خصَّ هذا اللَّونَ مِن شِعرِ الهِجاءِ بِمجموعَةٍ مِن الخَصائِصِ الفَنيَّةِ الَّتي انفرَدَ بِهَا كَبدواةِ التَّعبِيرِ، والتَّفحُّشِ فِي الإيرادِ، وقُوَّةِ الأداءِ؛ ذِهَابًا إلَى ردِّ كُلٍّ مِن المُتهاجِيَيْنِ عَلَى صَاحِبِهِ مَعَانيهِ، ونقضِ معَارِفِهِ، وهَدمِ مذهِبِهِ، ولعلَّ أظهرَ مَا بَرزَتْ فِيهِ السَّماتُ النَّفسيَّةُ لِكِلا الشَّاعِرِيْنِ فِي تِلكَ النَّقائضِ: "اعتِمادُهَا عَلَى التَّحاوُرِ والجَدَلِيَّةِ والمُناظَرَةِ –خَاصَّةً فِيمَا وقعَ بينَهُمَا فِي سُوقِ المِربَدِ، والثَّراءِ اللَّفظيِّ، وتَقَارُبِ المَعانِي والصُّوَرِ السَّاخِرَةِ"[١٧]

وكَونُ المَسألَةِ مَبنِيَّةٌ لَديهِمَا عَلَى البُعدِ العصبيِّ والقَبَلِيِّ، لَم تَكُن لِتَنفكَّ عَن سَبيلِهَا الَّذي رَسَماهُ لَهَا فِي شِعرِهِمَا طِيلَةَ أربعِينَ عَامًا او اكثر، وتِلكَ مُدَّةٌ لَيستْ بِالقَليلَةِ فِي حَياةِ البَشَرِ، وَأنْ يُسخَّرَا جُهودَهُمَا فِي طَارِقِينَ أبوابَ الدَّفاعِ تَارَةً والهَجومِ أُخرَى أحَدِهِمَا عَلَى صَاحبِهِ بينَ الحِينِ والحِينِ، إذكاءً لَمَا عَسَى يَحكُمُ بِهِ غير العارِفِينَ بأحوالِهما علَيهِ بِأنَّهُ مِن قَبيلِ نَارِ العَدَاوَةِ، يَشِي بِشيءٍ مِن القَطعِ أنَّهُمَا تَأثَّرَا شَدِيدَ التَّأثُّرِ بِما كَانَ بينَ عَشيرَتَيْهِمَا مِن المُشاحَنَاتِ والإحَنِ والبُغضِ، الَّتي لَم تترك لَهُمَا سَبيلًا للالتقاءِ عَلَى محبَّةٍ ادَّخرَهَا كلٌّ مِنهُما لِصاحِبِهِ طيَّ قَلبِهِ، لَم يَتَّسعِ المَيدانُ لِأحدِهِمَا لِأن يُفصِحَ عَنهَا لِصَاحبِهِ إلَّا رَيثَمَا هَلَكَ الفَرزدَقُ؛ فَأنشَأَ جَريرٌ يَبكِيهِ ويَرثِيهِ.

وكَانَ مِن أَوغَلِ جَوانبِ حَنَقِ كلٍّ مِن هَذَينِ الشَّاعِرِيْنِ المُفْلِقَيْنِ عَلَى صَاحِبِهِ، وكَراهِيَتِهِ الَّتي يُبدِيهَا ظَاهِرًا، وبُدأوا فَاعِلِيَّةِ العَاملِ النَّفسيِّ المُنعَكِسِ علَيهِمَا فِيمَا صَوَّرَاهُ للخَلْقِ بِشعرِهِمَا، أن تَهاجَيَا فِي حَادثٍ لَيسَ لِسواهُما بِه إلَّا أن يَقِفَ حِيالَهُ مفزوعاً نُزولًا عِندَ مَا أَلَمَّ بِهِ مِن الحُزنِ والأسَى.

ذَلِكَ أنَّ جَريرًا نَظَمَ أبياتًا يهجو بِهَا الأخطلَ النَّصرانيَّ، بَدَلًا مِن أن يَرثِيهِ، وكَانَ قَد بَلَغَهُ نَبأُ مَوتِهِ، ولَعلَّ ذلِكَ لَمَا كَانَ بينَهُمَا مِن العَداوَةِ، ومِن مَطلِعِهَا قَولُهُ[١٨]:

زَارَ القُبُـــــورَ أَبُـــــو مَالِـــــكٍ فَأَصـــــبَحَ أَهْـــــونَ زُوَّارِهَـــــا

فَردَّ الفَرزَدَقُ عَلَيهِ ذَلِكَ مُمعِنًا فِي سبِّهِ وهِجائِهِ، والمَقامُ جَلَّ وعَظُمَ عَن أن يَتهَاجَيا فِيه، إلَّـا أنَّ الفَـرزدَقَ تَوخَّى تَوظيفَ الحَالَةِ لِصالِحِهِ؛ فَأنشَأَ يَقولُ[١٩]:

زَارَ القُبُـــــورَ أَبُـــــو مَالِـــــ ـــــكٍ بِـــــرغْمِ العَـــــدَاوَةِ وَاوْتَارِهَـــــا

وَأوصَـــــى الفَـــــرزدَقَ عِنـــــدَ المَمـــــاتِ بِـــــأُمِّ جَريـــــرٍ وَأَعيَارِهَـــــا

وظَاهِرٌ مَدَى مَا لَحِقَ بِالنَّظمِ –عِندَ الفَرزدَقِ خَاصَّةً– مِنَ الاهتِياجِ الوجدَانيِّ، جَرَّاءَ الحِراكِ النَّفسيِّ المُطِـلِّ بِعُنُقِهِ مِن بينِ مُفرداتِهِ المُوظَّفَةِ فِي إبرازِ حَقيقَةِ امتعاظِ كلٍّ مِنهُما مِن الآخَرِ ، وكَيفَ أنَّ الفَرَزدقَ سَعَى إلَى

تَصويرِهِ للمَشهدِ الدَّراميِّ بإخراجِهِ علَى نَقيضِ مَا يَنبغِي أن يَخرُجَ عَلَيهِ مِن التَّصويرِ، فَالمَقامُ لَـــا يُستَحضَـــرُ فِيهِ سِوَى المَوتِ والفراقِ ومُنعكَسَاتِهِمَا عَلَى الإنسانِ بالإيلامِ والتَّحَسُّرِ، غير أنَّ تَأهُّبَ جَريرٍ الدَّائمِ للفـــرزدَقِ وللأَخطَلِ، بَل وسَبقِهِ إلَى هَجائِهما أحيانًا بِمَا لَا يَقدِرانِ مَعَهُ عَلَى الرَّدِّ عَن نَفسَيهِمَا، دَفَعَ الفَرزدَقَ تِلكَ المَرَّةَ أن يَكِرَّ عَلَى جَريرٍ بَداءَةً؛ لِيكُونَ لَهُ السَّبقُ إلَى مَعنًى قَلَّمَا طَرقَهُ جَريرٌ فِي تَهاجِيهِماَ مَعًا.

وعَلَى ذلكَ فَإنَّ المُحرِّكَ الأَوَّل، والدَّافعَ الرَّئيسَ، بَل والأبرزَ فِي أَبياتِ الفَرزدَقِ السَّالفَةِ هَو هَذا الصَّراعُ النَّفسيُّ الدَّاخلي، الَّذي سَريعًا مَا يَتمحورُ مُتَّخِذًا قَالبًا فَنِّيًّا يَتهَيَّأُ مِن خِلالِهِ الشَّاعِرُ لِخَوضِ مَلحمَةٍ حِواريَّةٍ فِي مُناظَرَةٍ مَشبُوبَةٍ ذاتِ خصائصَ نَفسيَّةٍ بَارِزَةٍ، قَامَ عَلَى تَشكِيلِهَا وَإظهارِ مَعَالِمها وسِماتِهَا الفَنِّيَّةِ الخِطابُ الشَّعريُّ الهَجائِيُّ المُعوَّلُ فِي تَحريض قَضَاياهُ المَعنَويَّةِ والعَقليَّةِ عَلَى اللَّفظِ القَويِّ الجَزلِ المُعبر عَمَّا يَجيشُ فِي نَفسِ شَاعرِهِ، وَالمَعنَى الدَّقيقِ المُفهِمِ المُنتَهَى بِهِ إلَى تِحقِيقِ الرَّغبَةِ فِي التَّشفِّي مِن صَاحِبِهِ وَالانتقامِ مِنهُ بِجَزْلِ الكلامِ لَا بِحَدِّ الحُسامِ.

ومِمَّا أسلفنَاهُ يَتبَيَّنُ لَنَا أنَّ جَريرًا والفرزدَقَ والأخطلَ كَانُوا مَسبُوقِينَ إلَى هَذا الابتِكارِ الشَّعريِّ الهجائيِّ، ومعَ ذَلكَ فَقدِ انتهَتْ إلَيهِمُ الرِّيَاسَةُ فِيهِ، إلَى الحَدِّ الَّذي جَعَلَ أكثرَ النقاد يُنسِبونَهُ لَهُم بِغَير ارتِيابٍ فِي أَنَّهُم هُم من بَثُّوا فِيهِ الحَيَاةَ، وَأَتَوا مِن خِلالِهِ بِالأعاجيبِ الشَّعريَّةِ إلَى دَرَجةِ انتاب النَّاسِ الخَوفُ مِن لَواذِعِ ألسِنَتِهِم.

ومِن نَاحيَةٍ أُخرَى يَجبُ التَّنويهُ بِأنَّ هذَا اللَّونَ مِن شِعرِ التَّهاجِي لَم يَكُن يُعرَفُ عَلَى عَهدِ مَن ابتَدَعُوهُ مِمَّن مَثَّلْنَا لَهُم بِاسمِ النَّقائضِ الشَّعريَّةِ، ولَم يَذِع فِي زَمَنِهِم ذِياعَهُ بِألسِنَةِ هؤلاءِ الشُّعراءِ الثَّلاثَةِ، فَلم يَصطَلِحُوا عَلَيهِ بِالنَّقائضِ، بَل اندَرَجَ تَحتَ مَا عُرِفَ عِندَهُم بِشِعرِ الهِجاءِ، وَفِي مَعَارفِ ابنِ قُتَيبَةَ مَا يدلُّ عَلَى اشتِهَارِ هَذا الفرعِ مِن الهِجاءِ بِاسمِ النَّقائضِ بينَ أهلِ زَمنِهِم، ذَلِكَ أنّهُ عَرَضَ لِقصَّةٍ وَقعَتْ بينَ الفَرزدَقِ وهشامِ بنِ محمدِ بنِ السَّائبِ، وقَد لَقِيَ الفَرزدَقَ في مَجلِسِ (ضِرارِ بنِ عُطاردٍ، فَنَسبَ تَميمًا –وَكَانَ ابنُ السَّائبِ نَسَّابًا– إلى أَن بَلَغَ بِهِم الفَرزدَقَ، ودَارَ بَينَهُما مَا أخافَ ابنَ السَّائبِ –فِي نِهايةِ الأمرِ– مِن لِسانِ الفَرزدَقِ، وَقَد سَأَلَهُ الفَرزدَقُ: أَتروِي شَيئًا مِن شِعرِي، فَأجَابَهُ ابنُ السَّائبِ: لا، ولَكِنِّي أَروِي لِجريرٍ مَائةَ قَصِيدةٍ، فَقالَ: أَتَروِي لابنِ المَراغَةِ ولَا تَروِي لِي؟! واللهِ لَأهجُوَنَّ (كلْبًا) أو تَروِيَ لِي، كمَا رَوَيتَ لِجَريرٍ، فَقالَ ابنُ السَّائبِ، فَجَعَلتُ أختَلِفُ إلَيهِ وَأَقرأُ عَلَيهِ النَّقائضَ خَوفًا مِنهُ..."[٢٠]

وَفِي ذلكَ مَا يُبرز إلَى أيِّ مَدًى تعَارفَ النَّاسُ عَلَى ما اصطُلِحَ عَلَيهِ بِينَهُم بِاسمِ النَّقائضِ –هَذا الزَّمنَ– بِمُلاصَقَةِ المُصطَلَحِ لِجريرٍ والفَرزدَقِ، واقترانِهِ بِهِمَا شَدِيدَ الاقتِرانِ.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد (أ) – المجلد ٤٨ – آذار لسنة ٢٠٢٣

المبحث الثَّالثُ: آثَارُهُ الفَنِّيَّةُ وَالموضُوعِيَّةُ فِي التُّراثِ الشَّعريِّ:

لقَد خَلَّفَتْ لَنَا تِلكَ النَّقائضُ آثَارًا جَلِيلَةً أعطتِ المَجالَ للكَلامِ فِيهَا تَحلِيلًا وتَعلِيلًا، وَأفرَزتْ لَنَا مِعيارًا جَديداً لتقنِينِ شِعرِ الهَجاءِ، ومُراجَعَةِ مَا اعتمَدَ مِنهُ –قَبلَ هَذِهِ الحِقبَةِ– عَلَى المُناقَضَاتِ، فَزجَّتْ بِبعضِ المُستَوياتِ اللُّغَويَّةِ والفَنِّيَّةِ الَّتي يَنبغِي الالتِفَاتُ إِلَيهَا حِيالَ تَحريرِ مَقاصِدِ هذَا النَّوعِ مِن الخطاباتِ الشَّعريَّةِ ذاتِ الآفاقِ الشَّاسِعَةِ، والفَضَاءَاتِ المُظلَّلَةِ بِسِماءِ التَّاريخِ والبِيئَةِ والنَّشْأةِ، كَمَا فتَقَتْ أبكارَ عُذريَّةِ أذهانِ النَّقَّادِ والشُّعراءِ والأُدباءِ، لُيطِلُّوا عَبر شُرفَتِهَا عَلَى مَظاهرِ التَّنوُّعِ والجِدَّةِ والفَرادَةِ الَّتي يَنحوهَا الشِّعرُ العَربيُّ بَينَ الحِينِ والحِينِ.

وذلكَ مِن خِلالِ الإمعانِ قَليلًا فِي الحَديثِ عَن تَاريخيَّةِ نَشأتِهَا، وعَوامِلِ ازدهارِهَا، وَأسبَابِ شُيوعِهَا وانتشَارِهَا بينَ النَّاسِ، لِأنَّهُ مظهرٌ مِن مَظاهرِ الحَضَارَةِ الأدبيَّةِ المُتجَدِّدَةِ لَدَى العَربِ القُدَامَى، كَما أنَّهَا تُعَدُّ أحدَ الآثارِ الباقيَةِ المُؤرِّخَةِ لدولَةِ بَني أُميَّةَ، حَيثُ قيَّدَ الفرزدَقُ وَجريرٌ كَثيراً مِن حوادِثِ وَشَخصيَاتِ تلكَ الحِقبَةِ التَّاريخيَّةِ فِي نَقائضِهما، وقَد سَاعَدَت عَلَى إثراءِ أَدَبِ العربيَّةِ بِلونٍ جَديدٍ مِن ألوانِ الهِجاءِ اندَرَجَ تَحتَهُ، مَعَ مُخالَفَتِهِ لَهُ فِي بَعضِ الخَصائصِ الفَنِّيَةِ كَتلكَ الَّتي أشَرنَا إِلَيهَا سَالفًا، مِن ضَرورَةِ نَقضِ مَعَانِي اللَّاحقِ للسَّابقِ مِن الشَّاعرِيْنِ المُتهاجِيينِ بِرَدِّهَا عَلَيهِ، معَ التِزامِهِ بوَزنِ وروي قَصيدَتِهِ الَّتي هَجاهُ بِهَا، وَإجراءِ نَظمِهِ عَلَى مِنوالِ نَظمِهِ غَرضًا ومَوضُوعًا.

معَ مَا تفرَّدَ بِهِ هذَا اللَّونُ القَديمُ الحَادِثُ فِي الهِجاءِ مِن التَّعويلِ عَلَى الحِجَاجِيَّةِ والمُناظَرَةِ الَّتي تَضعُ كِلا الشَّاعِرينِ المُتهاجِيينِ وجهًا لِوجهٍ فَي الأسواقِ والمُنتدياتِ، بعدَ أن كَانَ الهِجاءُ مَقصورًا عَلَى تَبادلِ السَّبابِ والبذَاءاتِ فِي قَالبٍ مِن الشِّعرِ يُعَيَّنُ بِهِ أحَدُ أغراضِ الشِّعرِ الأربعةِ الَّتي حددها ابنُ رشيقٍ القَيروانِيُّ فِي مُقدَّمَةِ كَتابِهِ (العُمدةِ فِي نَقدِ الشِّعرِ) جَاعلًا مِنهَا الأصلَ الَّذي يُرجِعُ إِلَيهِ النَّاقِدُ البصيرُ للاغراضَ الشِّعريَّةَ مَهما تَفرَّعتْ إِلَيهَا، وهِيَ المَديحُ، والنَّسيبُ، والهِجاءُ، والرِّثاءُ[٢١] وقَد كَانَ لِانميازِ هَذا اللَّونِ مِن شِعرِ الهِجاءِ بِخَصائِصِهِ الَّتي رَسمَت حُدودَهُ، وَأطَّرَتْ لَهُ مَعَالِمَهُ تَأثيرٌ كَبير فِي صِناعَةِ المَجدِ الَّذي خَلَّدَ ذِكرَ جريرٍ والفرزدقِ والأخطلِ، عَلَى حِينِ أنَّ الأخطَلَ النَّصرانيَّ –تَحديدًا– لَو لَم يَكُن فِي جُملَةِ الصَّامِدينَ فِي حَلقَةِ النَّقائضِ الشِّعريَّةِ فِي هذَا العَصرِ، مَا كَانَ ليَذيعَ لَهُ صيتٌ ولَا لِيُذكرَ لَهُ اسمٌ، شَأنُهُ فِي ذلكَ شَأنُ كَثيرٍ مِن شُعراءِ هذا العَصرِ، مِمَّن أتَى عَلَى ذِكرِهِم بَعضُ النُّقاد وَالأُدباءِ فِي كُتُبِهِم فَي كلامٍ عَابرٍ لَم يَستغرِقْ أكثر مِن عِدَّةِ أسطُرٍ مِنهَا، إِلَّا أنَّ تَبَادُلَهِ الهِجاءَ مَعَ كِلا الفَحلَينِ المُذكورَينِ جَريرٍ والفَرزدَقِ هُوَ مَا خلَّدَ اسمَهُ فِي صَفحاتِ النُّورِ جَنبًا إِلَى جَنبٍ معَ شَاعِرَي بَني أُميَّةَ.

وَمِمَّا تَركَهُ شِعرُ النَّقائضِ مِن آثارٍ لَولاهُ مَا كَانَ لَهَا وجُودٌ قَائمٌ فِي النَّاسِ زَمَننَا هَذا، تَسجيلُهُ لَأخبارِ الدَّولَةِ الأُمَويَّةِ وبَني مَروانَ؛ حَيثُ استدرَكَ كَثيرٌ مِن المُؤرِّخِينَ النَّقصَ الَّذي اعتَورَ تَاريخَ بعضِ الأحداثِ

والأشَخاصِ الَّذينَ قَامُوا بِهَا، مِن شَعرِ العِملاقَيْنِ جَريرٍ والفَرزدَق، وَدوَّنُوا كَثيرًا مِنهَا بُمراجَعَةِ الشُّروحِ الَّتي اَهتمَّتْ بِشِعرِهَما، كَشَرحِ أبي عُبيدَةَ بنِ المُثنَّى وأبي تَمَّامٍ وَغيرِهِمَا لَهَا.

وَمِن تَخليدِ جَريرٍ لِذكرِ بَنِي أُمَيَّةَ امتدَاحُهُ للحَجَّاجِ الثَّقَفِيِّ عِندَ عَبدِ الملكِ بنِ مَروانَ، حِينَ استنشَدَهُ في حَضرَتِهِ، فَأنشَدَهُ فِي الحَجّاجِ قَولَهُ(٢٢):

صَـــبَرْتَ الـــنَّفْسَ يَـــا بـــنَ أَبـــي عَقِيـــلٍ مُجَاهَـــدَةً، فَكَيـــفَ تَـــرَى الثَّوابَـــا..؟!
إِذَا سَـــعَرَ الخَلِيفَـــةُ نَـــارَ حَـــربٍ رَأَي الحَـــاجَ أَثْقَبَهـــا شِـــهابَا

وَأنشَدَهُ لِنفسِهِ –أيضًا– مَادِحًا إِيَّاهُ بِالبَيتِ الَّذي عَدَّهُ كَثيرُ مِنَ الشُّعرَاءِ والنُّقادِ أَفخرَ بَيتٍ قَالَتْهُ العَرَبُ، وَهُـوَ (٢٣):

أَلَسْتُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطَايَا وَأَنـدَى العَالَمِيـنَ بُطُـونَ رَاحِ..؟

فَأَمَرَ لَهُ عَلَى إِثرِهِ بِمَائَةِ نَاقَةٍ تَكريمًا لَهُ، واحتِضانًا لِتلكَ الشَّاعِريَّةِ الفذَّةِ الَّتي اقترَنَتْ عِندَهُ بِشخصِ جَريرٍ.

كَمَا امتدَحَ الفَرزدَقُ سُليمَانَ بنَ عَبدِ المَلِكِ وَالقَومُ حُضورٌ حَولَهُ، وَكَانَ قَد أُوتِيَ إِليهِ فِي مَجلِسِهِ بِأسْرَى مِنَ الرُّومِ، فَأَمَرَ الفَرزدَقَ بِضرْبِ أَعنَاقِهِم، فَاستَعفَاهُ مِن ذَلِكَ فَلَم يُعفِهِ، وَدَفَعَ إِلَيهِ سَيفًا كَلِيلًا، فَقَامَ بِهِ الفَرزدَقُ، فَضرَبَ بِهِ عُنُقَ رَجُلٍ مِنهُم، فَنَبَا مِنهُ السَّيفُ؛ فَضَحِكَ سُلَيمَانُ بنُ عَبدِ المَلِكِ وَمَن حَولَهُ، فَأَنْشَدَ يَقُولُ(٢٤):

مَـــا يُعجِـــبُ النَّـــاسَ أَنْ أَضـــحَكْتُ خَيـــرَهُمُ خَلِيفَـــةَ اللهِ يُستَســـقَى بِـــهِ المَطَـــرُ

فَأمكَنَ هَذا الفَرزدَقَ مِن التَّأريخِ لِهذِهِ الحَادِثَةِ الَّتي –أرَى– أنَّهَا لَولا مُقطَّعَتُهُ تِلْكَ مَا كَانَ لِيذيعَ لَهَا ذِكـرٌ ولَـا لِيبقَى لَهَا فِي النَّاسِ أَثَرٌ.

وفِيمَا ألمَحْنَا إِلَيهِ مِن آثارٍ فنيَّةٍ غَنيَّةٍ بِالمَوضُوعاتِ، ثَريَّةٍ بِالأفانِينِ اللُّغَويَّةِ شَدِيدَةِ الالتِصاقِ بِالغَرضِ المَنظومِ فِيه، أبرزُ مَا امتازَ بِهِ شِعرُ النَّقائضِ عَلَى مَا سِواهُ مِن ألوانِ الشِّعرِ الأُخرَى، فِي مُقوِّماتِ البِناءِ الشَّكلِيَّةِ وَالجَوهَرِيَّةِ، وأظهَرُ مَا خلَّفَتْهُ تِلْكَ النَّقائضُ مِن الآثارِ الفَنيَّةِ المُشكَّلَةِ لِطبَقَةٍ جَديدَةٍ وَمُبتَكرَةٍ وَفَريدةٍ مِن طَبَقاتِ الشِّعرِ العَربيِّ الَّتي تَعلُو فِيمَا بَينَهَا وَتنخَفِضُ بِحسَبِ البَاعثِ والغَرَضِ، وجَودَةِ الأداءِ، وقُوَّةِ الأساليبِ، فِي عَصرٍ يُعَدُّ مِن أزهَى عُصُورِ الشِّعرِ عَبْرَ أزمنَتِهِ المُختَلِفَةِ، وَأَيَامِهِ المُتعاقِبَةِ.

وفِيمَا سَلَفَ قَدَّمنَا لِأبرَزِ القِيَمِ الفَنيَّةِ الَّتي امتازَ بِهَا ذلكَ النَوعُ مِن الهِجاءِ، ونُضيفُ إِلَيهَا هُنَا النَزعَةُ الذَّاتِيَّةُ المُسمَّاةُ فِي بعضِ المَفاهِيمِ بِالنَّرجسِيَّةِ الشِّعريَّةِ، وقَد كَانَ لِكُلٍّ مِنهُم طَرِيقَتُهُ الَّتي يَنتَحِيهَا إِظهَارًا لِنفسِهِ عَلَى مَن سِواهُ، ومنهَجًا مُحدَّدًا يَنتَهِجُهُ فِي مَدائحِهِ وتَهاجِيهِ، بيدَ أنَّ مُناقَضاتِهِم اَستحوذت عَلَى النَّصيبِ الأوفرِ مِن تِلكَ الذَّاتِيَّةِ الَّتي عجَّتْ بِالحَدِيثِ عَنِ الـ(أنَا) الشَّخصِيَّةِ، والـ(أنَا) القَوميَّةِ، وانطِلاقًا مِن تلكَ الأنَويَّةِ والذَّاتِيَّةِ –الَّتي عَدَّ النَّقادُ استِعمالَهَا لدَيهِمَ غَيرَ مُفرطٍ– امتَلَأَ مَيدَانُ النَّقائضِ بِينهُم بِهَا، حَيثُ –أرَى– أنَّهَا تُمثِّلُ العُنصُرَ الأصيلَ الّذي نَشَأَتْ مِن أجلِهِ النَّقائضُ. (٢٥)

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد (أ) – المجلد ٤٨ – آذار لسنة ٢٠٢٣

- **المبحث الرَّابعُ: البَوَاعِثُ الكَامِنَةُ وَراءِ شِعْرِ النَّقَائضِ لَدَى جَرِيرٍ والفَرزدَق.**

إنَّ عددًا مِن البَواعِثِ الكَامِنَةِ فِي نَفسَيِ كِلَا هَذَيْنِ الشَّاعِرَينِ هِيَ مَا استفزَّتْهُما لِخوضِ تِلْكَ المُسَاجَلَةِ الشَّعريَّةِ، مُندَفِعَينِ يُعَبرانِ عَنهَا بَواسِطَةِ استِخدامِ وتَوظِيفِ أبعادِهَا الغَائرَةِ العُمق، الضَارِبَةِ الجذرِ فِي رُوحَيهِمَا الفَتيَّةِ، مِن حَداثَةِ سِنِّهِمَا إِلَى مَوتِهِمَا فِي تَارِيخَينِ مُتقارِبَيْنِ مِن الزَّمنِ.

كَانَ لِهذِهِ الدَّوافِعِ الرَّاسِخَةِ فِي طَيَّاتِ شُعورِهِمَا الدَّورُ الأبلغُ فِي تَحريكِ العَاطِفَةِ الشَّعريَّةِ لَدَى كُلٍّ مِنهُمَا، فِي جوٍّ مَشحونٍ بِالنِّزاعِ والاضطرابِ والتَّناحُرِ بينَ عشيرَتَيهِمَا، معَ مَا بَينَهُمَا مِن القَرابَةِ واللُّحمَةِ، إِلَى أن خَلَّفَتْ لَنَا تِلكَ الآثَارِ الخَالِدَةِ عَلَى امتدادِ الزَّمنِ، ومرِّ العُصُورِ مِن شِعرِهِمَا؛ بِمَا خَلَّدَاهُ مِن مَعالِمِ بِيئَتَيهِمَا، وَأحداثِ ووقَائعِ زَمَنِهِمَا، وتَاريخيَّةٍ لِبعضِ البطولاتِ والأمجادِ العَربيَّةِ الَّتي حَصَّلَهَا بَنُو أُميَّةَ، والَّتي لَولاهُمَا لَضَاعَ أكثَرُهَا، ولَخَبَتْ جَذوَةُ تِلْكَ الدَّولَةِ وانطَوَى مَاضِيهَا مِن صَفحَةِ التَّاريخِ كُلِّهِ.

وكَانَ مِن أبرزِ مَعَالِمِ هَذِهِ البَواعِثِ –فِي صَعِيدَيهَا النَّفسيِّ والوُجدَانيِّ– انعِكاسًا عَلَى شِعرِهِمَا فِي هَذِهِ النَّقَائضِ مَا أحدَثَاهُ مِن التَّغيير فِي مَعالِمِ التَّصويرِ والأخيلَةِ الَّتي نَجَحَا أيَّمَا نَجاحٍ فِي عَكسِ صُورَتِهَا المُغطاةِ فِي الوُجدَانِ والمُخبَّأَةِ فِي تَضاعِيفِ النَّفسِ، فِي هَيأة شَاخِصَةٍ مَاثِلَةٍ للعَيانِ، تُفتر مِن ضِرامِ جَمَراتِ العَصَبيَّةِ الَّتي أخَذَتْ مِنهُمَا مَأخَذَهَا، وَذَلِكَ مِن خِلالِ عَدَدٍ مِن العَناصِرِ المُتراكِبَةِ المُتكَامِلَةِ فِيمَا بَينَهَا، والَّتي يَخضَعُ النَّصُّ –عِندَ دِراستِهِ وَتحلِيلِ مَغزاهُ– لَهَا؛ لِبيانِ مَدَى مَا أحدَثَتْهُ فِيهِ مِن تَأثيراتٍ مُوجَّهَةٍ، يَنِمُ الغَرضُ مِن النَّظمِ عَنهَا فِي كلِّ زَاوِيَةٍ مِنهُ، وظَّفَ الشَّاعرُ أدواتِهِ التَّعبيريَّةَ، واللُّغويَّةَ والتَّصويريَّةَ لِإبرازِهَا مَاثِلَةً لمُتلقِّيهِ شَاخِصَةً لِمُخَاطَبِيه، طَلَبًا لِنقضِ مَا جَاءَ بِهِ نَظيرُهُ مِن المَعانِي المُتراكِمَةِ فِي بنيَةِ نَصِّهِ الشَّعريِّ الَّذي اتَّخذَ مِن الهِجاءِ فِيهِ سَبيلًا لِإفحامِ خَصمِهِ، وهزيمته، فَكانَا يَلجَآنِ إِلَى أقذَعِ أنواعِ السَّبابِ يَتهاجَيَانِ بِهِ ولَا يَتورَّعَانِ عَن إيرادِ اللَّفظِ الفَاحشِ والكَلِمِ البَذيئِ، نَاسِبًا كلٌّ مِنهُما الكَمالَ لِنفسِهِ، مُلصِقًا كلَّ نُعوتِ النَّقصِ بِخصمِه، ومِن ذلكَ نعتُ الفَرزدَقِ لِأُمِّ جَريرٍ فِي قَصيدَتِهِ المَشهُورَةِ بِالمَرَاغَةِ، وهِيَ الأتَانَةُ أُنثَى الحِمارِ، مُشيرًا بِذلِكَ إِلَى اعتِلاءِ الرِّجالِ لَهَا اعتِلاءَهُم لِحُمُرِهِم، مِن قَولِهِ:

يَا بنَ المَرَاغَةِ كَيفَ تَطلُبُ دَارِمًا وَأَبُــوكَ بَيْنَ حِمَارَةٍ وَحِمَارِ[٢٦]

وَمِن أهَمِّ مَا يَنبغِي الإشَارَةُ إِلَيهِ هُنَا مِن تِلْكَ العَنَاصِرِ المُؤَثِّرَةِ فِي وَقْعِ الخِطابِ الشَّعريِّ بِالهِجاءِ المُناقِضِ التَّالِي:

١– جَوُّ النَّشْأةِ البِيئيَّةِ:

لَقَد كَانَ لِلبيئَةِ الَّتي نَشَأَ وعَاشَ فِيهَا كُلٌّ مِن جَرِيرٍ والفَرزدَقِ والأخطَلِ النَّصرَانيِّ عَلَى حَدٍّ سَواءٍ، الأثَرُ الأبلغُ فِي تَهيئَتِهِم وبِنَاءِ شَخصيَّاتِهِم الشَّعريَّةِ، استِعدادًا لِخَوضِ هَذا النَّوعِ مِن النزالِ والمُساجَلَاتِ مَعَ عَدَدٍ مِن شُعراءِ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد (أ) – المجلد ٤٨ – آذار لسنة ٢٠٢٣

زَمانِهِم، وقَد أسلَفنَا الكلامَ عَن دَامِغَةِ جَرِيرٍ فِي الرَّاعِي النُّميريِّ، وكَيفَ أنَّهَا طَارَ بِهَا الرُّكبانُ، وهِيَ مِن مُطوَّلاتِ الشِّعرِ العَرَبيِّ؛ حيثُ نَيَّفَ عَدَدُ أبياتِهَا عَلَى التِّسعِينَ بيتًا.

إلَّا أنَّ هذا المَيدَانَ لاتِّساعِهِ عَلَى مَن لَم يَقدر فِيهِ علَى حَمْلِ سِلاحِهِ، لَم يَصمُد فِيه إلَّا هَؤلاءِ الشُّعراءُ الثَّلاثَةُ، جَريرٌ، والفَرزدَقُ، والأخطَلُ، وقَد أعضلَ الرَّاعِي النميري فَلَم يَقدِر عَلَى مُجارَاتِهِ فِي الهِجَاءِ، فَتَرَكَهُ إلَى غَيرِ رَجعَةٍ، وقَد نصَّ ابنُ قُتَيبَةَ عَلَى سَبب ذَلكَ بِقَولِهِ: "وَحَدَّثَنِي عَبدُ الرَّحمَنِ الأصمعيُّ، قَالَ: أَخبَرَنَا شَيخٌ مِن أَهلِ البَصرَةِ، قَالَ: مَرَّ رَاعِي الإبلِ فِي سَفَرٍ فَسَمِعَ إنسانًا يَتغنَّى (عَلَى قَعُودٍ لَهُ) بِشِعرِ جَرِيرٍ، وَهُوَ قَولُهُ:

وَعَاوٍ عَوَى مِن غَيرِ شَيءٍ رَمَيتُهُ ... بِقَافِيَةٍ أَنفَاذُهَا تَقطُرُ الدَّمَا

خَرُوجٍ بِأَفوَاهِ الرُّوَاةِ كَأَنَّهَا ... قِرَى هُنْدُوَانِيٍّ إِذَا هُزَّ صَمْصَمَا

فَقَالَ: لِمَن هَذَا؟ قِيلَ لِجَرِيرٍ، فَقَالَ الرَّاعِي: لَعنَةُ اللهِ عَلَى مَن يَلُومُنِي أَن يَغلِبَنِي مِثلُ هَذَا..! [٢٧]، وكَانَ جَرِيرٌ أحدُّهُم لِسانًا وَأَقواهُم بيانًا فِي التَّهاجِي، بِحُكمِ تِلكَ النَّشأةِ المُشارِ إلَيهَا؛ حيثُ كَانَ يَقطُنُ البَادِيَةَ ولَم يَتحوَّلْ مِنهَا إلَى البَصرَةِ إلَّا حِينَ أُوعَزَ إلَيهِ بعضُ العَرَبِ مِن أمرِ ذِياعِ واشتِهارِ شِعرِ الفَرزدَقِ عَلَيهِ لِسُكناهُ البَصرَةَ، وكَانَ مِن أَثَرِ بَداوَتِهِ فِي تَحرُّكِ نَزعاتِهِ النَّفسيَّةِ ومُضمراتِهَا أنْ غَلَبَ لَفظُهُ لَفظَ الفَرزدَقِ والأخطَلِ فِي الجَزالَةِ والوحشيَّةِ فِي آنٍ مَعًا، فَكانَ أشدَّ وَقْعًا عَليهِمَا عِندَ التَّلاقِي بينَهُم، كَما تَركَتِ النَّشأةُ البدَويَّةُ فِي نَفسِهِ غِلظَةً وَجفوَةً انعكسَتْ عَلَى نَظمِهِ بِالحِدَّةِ والصَّرامَةِ، وقَد لَامَهُ أَبُو عَمْرو بنِ العَلَاءِ، وكَانَ عِندَهُ، عَلَى شِدَّتِهِ فِي الإقذَاعِ، بِقَولِهِ: فَلِأَيِّ شَيءٍ تَشتُمُ النَّاسَ؟ فَأجَابَهُ: يَبدَؤُونَنِي، ثُمَّ لَا أَعفُو، وَكَانَ يَقولُ: أَنَا لَا أَبتدِي، وَلَكِن أعتَدِي[٢٨]

٢- عِلاقَةُ الشَّاعِرِ بِخصمِهِ:

كَمَا كَانَ لِتلْكَ العِلاقَةِ الضَّارِيَةِ بَينَ جَرِيرٍ والفَرزدَقِ مِن نَاحِيَةٍ، وبينَ جَرِيرٍ والأخطَلِ مِن نَاحِيَةٍ أُخرَى مَا سَاعَدَ عَلَى إثراءِ المَيدَانِ الشِّعريِّ حِينَئذٍ بِنَوعٍ جَدِيدٍ مِن المُناظَراتِ الشَّعريَّةِ الَّتي لَمَ يَكُن للعَرَبِ بِهَا عهدٌ قَبلَهُمَا؛ حَيثُ جَعَلَا مِن سُوقِ المِربَدِ -وهَوَ سُوقٌ يَقَعُ عَلَى مَبعَدَةٍ مِن مَدينَةِ البَصرَةِ بِثلاثَةِ أميالٍ إذْ كان- مَسرَحًا لِهَذِهِ المُناظَراتِ الَّتي كَانَت تُعقَدُ عَلَى أعيُنِ النَّاسِ مِن المُتَذَوِّقِينَ والمُحَكِّمِينَ، بِمَا ارتدَّ بِأَثَرِهِ عَلَى المُظاهَرَةِ بَينَ النَّاسِ بِكَراهِيَةِ جَرِيرٍ للفَرزدَقِ، فِي الوَقتِ الَّذي كَانَ يُضمِرُ لَهُ ودًّا وَتَقدِيرًا؛ بِسببِ الآصِرَةِ الَّتي تربطُ كُلًّا مِنهُمَا بِصاحِبِهِ، ولبَراعَتِهِ وجودَةِ نَظمِهِ وصُمودِهِ أمامَهُ فِي مَيدَانِ الَاحتدام بِالكَلِمَةِ.

وَمَعَ مَا كَانَ يُبدِيهِ كلٌّ مِنهُما للآخرِ مِن كَراهِيَةٍ وحَقدٍ للإسبابِ الَّتي أسلفنَاهَا، وفِي بَاطِنِ كلٍّ مِنهُما للآخَرِ مَا لَا يَستَطيعُ -بِسببِ العَصبيَّاتِ والحَميَّةِ العَربيَّةِ- أن يُبدِيَهُ مِن المَودَّةِ والتَّقدِيرِ، إلَّا أنَّهُ لَم يُكنُ فِي المَسأَلَةِ مُتَّسعٌ للتَّباكِي، ولَا للرُضوخِ بترك مَيدانِ الهِجاءِ للآخَرِ؛ فَذلكَ أَشَرُّ عَلَيهِ مِن ضَربَةٍ بِسَيفٍ، ولعلَّكَ تَجِدُ فِي تَرحُّلِ جَرِيرٍ مِن البَادِيَةِ إلَى البصرَةِ تَحصيلًا لِمَا لَم يكُن مُحصَّلًا لَهُ من الشُّهرَةِ والذُّيوعِ اللَّذَيْنَ كَانَا للفرزدَقِ، أبلغَ الحُجَّةِ عَلَى استِعدَادِ كُلٍّ مِنهُما للتَّفريطِ فِي كُلِّ مَا عَساهُ يَحُولُ بَينَهُ وبَينَ الانتصَارِ لِنفسِهِ وعَشيرَتِهِ عَلَى

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ (أ) - المجلد ٤٨ - آذار لسنة ٢٠٢٣

صَاحِبِهِ وقَومِهِ، مَهَما كَلَّفَهُ الأمرُ، وَهَذا بُرهانٌ دَامِغٌ عَلَى أنَّ كلًّا مِنهُمَا لَم يَكُن لِيجِدَ مُتنفَّسًا لِمَا يُضمِرُهُ فِي طَيَّاتِ نَفسِهِ ووُجدَانِهِ للآخَرِ مِن الضَّغْنِ او الحنين عليه فيكون القِصَاصَ بِالكَلِمَةِ؛ حتى لَا يَكونَ بِمنزِلِ الضَّعِيفِ مُنقَطِعِ الحِيلَةِ مَبتُورِ القُدرَةِ والإرادَةِ.

ولَا يَخفَى مَا فِي ذلِكَ التَّضارب بينَ عَاطِفَتَينِ مُختَلِفَتَينِ ظَاهِرًا وبَاطِنًا مِن البَواعثِ النَّفسيَّةِ المُحرِّكَةِ لِشَاعِرِيَّةِ كلٍّ مِنهُما، يَذودُ بِهَا عَن حِمَاهُ الَّذي يَخشَى رَعْيَ صَاحِبِهِ فِيهِ؛ فَينبري لَهُ مُتعَاطِيًا كلَّ وَسيلَةٍ تُبلِّغُهُ القَصدَ، مهما اشتدَّ عَلَيهِ الأمرُ، واستعصَتْ عَلَيهِ مَطالِبُهُ.

وَقَد رَوَّى لنا صَاحبُ الأغانِي طَرفًا مِن المُنافَراتِ الَّتي كَانَت بَينَ هَذَيْنِ الشَّاعِرَينِ جَرِيرٍ والفرزدَقِ تَشيبُ لَهُ الولدَانُ، ومِن تَعلِيقاتِهِ عَلَى تِلك المُنقضَاتِ فِي اجتِماعِهما عِندَ سُلِيمانَ بنِ عَبدِ المَلِكِ مَا يَنِمُّ عَن مَظاهِرِ النَّفْسِ والأحقادِ الَّتي كَانَ يَحمِلُهَا كُلٌّ مِنهُما للآخَرِ –فِي ظَاهِرِ الأمرِ . (٢٩)

٣- امتلاكُ الشَّاعرِ لِلأدَواتِ المُعِينَةِ عَلَى تَحرِيضِ الغَرَضِ مِن المُنَاقَضَاتِ:

لم يَكُن أيٌّ مِن ثَلاثَةِ هؤلاءِ الشُّعراءِ لِيصمُدَ فِي هَذا المَيدَانِ مُسخَّرًا طَاقَاتِهِ النَّفسيَّةِ المُزمجِرَةِ والغاضِبَةِ عَلَى نُظرائِهِ، مَا لَم يَكُن ذا قَدَمٍ راسِخَةٍ فِيهِ، مُتمَكِّنًا مِن آلاتِهِ المُتمثِّلَةِ فِي:

ـــــــ **اللُّغَةُ:** وقَد امتازَتِ لُغَةُ النَّقائضِ عِندَ هؤلاءِ الشُّعراءِ بِالجزالَةِ والمَتانَةِ، وَالأُسلُوبُ والقُوَّةِ المُستَقَاةِ مِن التَّراكيبِ والأبنِيَةِ المُوظَّفَةِ فِيهَا، حَتَّى لَكَأنَّهُم وَضَعُوا بِطَرِيقَةِ النَّظمِ فِي نَقائضِهِم شروطاً وضَوابِطَ مُحدَّدةً يَنبغِي مُراعَاتُهَا والتَزامُهَا فِي شِعرِ النَّقائضِ، ولَا يَجوزُ تَخطِّيهَا لِمَن جَاءَ بَعدَهُم.

ـــــــ **الأبنِيَةُ، والتَّراكِيبُ:** وكَانَ مِن الطَّبيعيِّ فِي نَظمٍ يَحمِلُ هَذِهِ الصَّبغَةَ أن يُعوَّلَ فِيهِ عَلَى أدلِّ المُفرداتِ عَلَى القَصْدِ، وأدقِّ المَعانِي المُفحِمَةِ للخَصمِ، وعلَى ذَلِكَ؛ فَقَد جَاءتِ القصائدُ الطَّويلَةُ عِندَ جَرِيرٍ والفَرزدَقِ عَلَى نَمطِ القَصائدِ القِصارِ؛ فَلم يُخفِقْ أيٌّ مِنهُم فِي شَيءٍ مِن المُطوَّلَاتِ بِسببِ طُولِهَا لِقِصرِ نَفسِهِ، بَل إنَّ طولَ أكثَرِهَا زَادَهَا بَهاءً، وكَانَ لِتلك التَّراكيبِ النَّحْوِيَّةِ والأبنِيَةِ التَّصريفيَّةِ دَورٌ فِي تَسخِيرِ الغَايَةِ المُضمَرةِ لَدَى كلٍّ مِنهُمَا إلَى حَيثُ يَشاءُ؛ تَعبيراً عَن نَفسِهِ، وانتقامًا لِسُؤدَدِ قَومِهِ مِن الآخَرِ؛ فَاجترَّ بِهَا كُلٌّ مِنهُمَا الأثَرَ النَّفسيَّ المُعتَلِجَ فِي طَيَّاتِ أحشَائِهِ إلَى الأسماعِ لِيمثُلَ شَاخِصًا لِلنَّاسِ لَيسَ بَينَهُ وبَينَهُم حَجابٌ.

ـــــــ **الأخيلَةُ والتَّصويرُ:** فِي مُعالَجَةٍ دِراميَّةٍ لِبعضِ مَشاهِدِ النَّظمِ فِي كَثِيرٍ مِن نَقائضِ هَؤلاءِ الشُّعراءِ، اضطرَّ إلَى أن يُوظِّفَ الأخيلَةَ الصَّادِقَةَ فِي تَجرِبَتِهِ الشَّعريَّةِ؛ مِن أجلِ الظَّفَرِ عَلَى خَصمِهِ بِتَصويرِهِ وقَومِهِ بِالهَيئَةِ الَّتي يشمئزُّ مِنهَا النَّاسُ، وإخرَاجِهِ وَعَشِيرَتِهِ مَخرَجَ الإماءِ والعَبيدِ، بَل والأنعامِ فِي بعضِ النَّظمِ.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد (أ) – المجلد ٤٨ – آذار لسنة ٢٠٢٣

وَقدَ عَالجَ كلٌّ مِن جَرِيرٍ والفَرزدَق الصُّورَةَ بِحَسَبِ نَشَأتِهِ، فَكانتِ الأخيلَةُ عِندَ جَرِيرٍ أشدَّ عُمقًا، وَأجدَّ وَقْعًا فِي النُّفُوسِ لِبداوةِ هَذِهِ الأخيلَةِ بِما لَم يُمكِّن للفرزدَقِ والأخطَلِ مِن مُجارَاتِهِ عَليهَا، فَتَركَ ذلكَ أثَرًا بيِّنًا فِي نَفسِ كَلِيهِمَا؛ حَيثُ هَابَهُ الفَرزدَقُ، وَخشَاه الأخطَلُ، فَكَانَا لَا يَقِفانِ مِنجَرِين وَجهًا لِوجهٍ فِي مُساجَلَةٍ شِعريَّةٍ إلَّا قَلِيلًا، لِسُرعَةِ بَدِيهَتِهِ، وَوَجْدِ نَفسِهِ عَلَيهِمَا، وفُحشِهِ فِي التَّصوِيرِ.

أمَّا الفَرزدَقُ فَكانَ وَقَّافًا عِندَ الأخيلَةِ المُعتادَةِ، إلَّا مَا اكتسَبَهُ بِطولِ الخِبرة فِي مُناقَضَاتِهِ لِجريرٍ، فَجاءت أخيلَتُهُ وصورهُ قَاصِرَةً عَلَى الغَايَةِ مِن الخِطابِ لَا تتخطَّاهُ إلَى إحداثِ تدافُعٍ فِي وَهْمِ المُتلقِّي فِي مُحاولَةِ اكتشافِ مَا وراءَ تِلكَ الأخيلَةِ، بَل كَانتْ ظَاهِرةً عذبَةً سهلَةَ التَّناوُلِ.

ـــــــ الإيقاعُ الشَّعريُّ الدَّاخِليُّ والخَارِجيُّ: وَمِن غَيرِ مَا يَخفَى عَلَى دَارسٍ لِأدبِ العَربِ الشَّعريِّ أنَّ أبرزَ مَا يَميزه عَن شِعرِ غير العَربِ، الوزنُ المُوسِيقيُّ، بِما لَهُ مِن جَماليَّةِ الإيقاعِ المُنتظِمِ بِحَسَبِ التَّفعِيلاتِ المُجراةِ فِي البحرِ المُستَعمَلِ فِي النَّظمِ، وَقَد بَرَعَ شُعراءُ النَّقائضِ فِي تَوظيفِ البَحرِ الشَّعريِّ المتنوع بِقضيَّةِ النَّظمِ، فَتارة تَجدُهُم ينظَمُون فِي بُحورِ الشِّعرِ الخَلِيليَّةِ كَافَّةً بَلا استثناءٍ، ذلكَ أنَّهُم كَانُوا يَسعَونَ إلَى إجراءِ النَّظمِ مَجراهُ عَلَى الوَزنِ الَّذي يَخدُمُ قَضيَّتَهم، ويُسهِمُ فِي تَحديدِ مَقَاصِدِهِم ، وَيُوقِعُ فِي نَفسِ المُتلقِّي الشُّعورَ بِمَا يَجبُ أن يُحسَّهُ لَا أن يَتَّجِهَ بِهِ الإيقاعُ اتِّجاهًا يُغايرُ مَا بَنَى الشعراءُ مِن أجلِهِ النَّظمَ.

ومَا لَيسَ يُغفَلُ –أيضًا– أنَ لَبلاغَةِ البَدِيعِ والحَجاجِ الأثَرَ الأمتعَ فِي تَوجيهِ دَوافِعِ الشَّاعرِ النَّفسيَّةِ صَوبَ مَا يَطمحَ إلَى تَحقيقِهِ مِن النَّصِّ، حيالَ رَغبَتِهِ فِي نَقضِ معالمِ شِعريَّةِ خَصمِهِ، وطَرْقِ السُّبُلِ المُوصِّلَةِ إلَى مُدافعَتِهِ وَإظهارِ التَّفوُّقِ عَلَيهِ، وفِي استِعمالِ بعضِ الإيقاعاتِ المُشكَّلَةِ لعُنصُرِ التَّكاملِ بينَ أجزاءِ النصِّ وبعضِهِ، وَتفريغِ طَاقَةِ الكَبتِ النَّفسيِّ المُحرِّكِ لضَغينَةِ الشَّاعرِ تِجاهَ خَصمِهِ، انحيازٌ مَلحوظٌ فِي بَلورَةِ مَعالمِ النصِّ بِجانِبِ الإيقاعِ الخَارجيِّ لهُ.

ولذا نَجدُ أنَّ الفَرزدَقَ وجريرًا لَم يَدَّخِرَا جَهدًا فِي تَوظيفِ الإيقاعِ الشَّعريِّ الدَّاخِليِّ مُمَثَّلًا فِي بعضِ الصُّوَرِ البَديعيَّةِ خِدمةً للغرضِ، وتَوثيقًا للهجاءِ، وَتَأكيدًا عَلَى الغَايَةِ المُرادَةِ مِن فَحوَى الصُّورَةِ المُوظَّفَةِ فِي النَّصِّ دُونَ تخطِّيهَا لِمُشَابِهَاتِهَا فِي النَّظمِ نفسِهِ، أو فِي نِظمٍ لَهُ سِوَى هذَا، أو فِي نظمِ مَن يُنَاظِرُهُ، ولَهُ مِن بَديعِ الشِّعرِ الَّذي لَم يَخلُ مِنهُ كِتابٌ فِي هِجاءِ جَريرٍ وقَومِهِ، مِن [بَحرِ الكَامِلِ][٣٠]:

لَعَنَ الإلهُ بني كُلَيبٍ، إنَّهُم ... لَا يَغدِرُونَ، وَلَا يَفُونَ لِجَارِ
يَستَيقِظُونَ إلَى نَهيقِ حِمارِهِم ... وَتَنامُ أعيُنُهُم عَنِ الأَوْتَارِ

وقَدِ انعَقَدَ المَعنَى هُنَا فِي هَذَيْنِ البَيتَينِ عَلَى لَعْنِ الفَرزدَقِ، لِجَريرٍ بِالتَحقيرِ مِن قَومِهِ بِمَا يَأتُونَهُ مِن الشَّناعَاتِ؛ فَإنَّهُم يَنَامُونَ عَن ثَأرِهِم، ويَستيقِظُونَ لَنهيقِ حِمارِهِم مخافَةَ أن يُسرَقَ أو يَأبَقَ، وَقَد أجرَى عِبارَةَ هَذَينِ البَيتَينِ عَلَى إيقاعٍ دَاخِليٍّ تَشكَّلَ بِشكلِ الطِّباقِ، حيثُ طَابقَ بينَ المنَّفيِّ (لَا يَغدِرونَ) وَ المَنفيِّ(لَا يَفُونَ)، وهُو –كمَا لَا

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١(أ) – المجلد ٤٨ – آذار لسنة ٢٠٢٣

يَخفَى- مِن طِباقِ السَّلْبِ، ولَا يَجتَمِعُ عَدَمُ الغَدرِ، مَعَ عَدَمِ الوَفاءِ فِي شخصٍ أو فِي قَومٍ، فَإمَّا أن يَكونَ غَادِرًا أو أَن يَكونَ وَفِيًّا، ولَو كَانَ وَقَفَ عِندَ قَولِهِ: "لَا يَغدِرُونَ" لَظنَّ المُتلقِّي رَغبَتَهُ فِي المَدحِ، حتَّى مَعَ اشتِمالِ البيتِ عَلَى اللَّعنِ مِن قَولِهِ: "لَعَن" ذَلِكَ أنَّ العَرَبَ تَطرقُ بَابَ المُلاعَنَةِ فِي جَانبِ التَّهويلِ، كَقولِهِم "لَعَنهُ اللهُ، مَا أشعَرَهُ..!"، إلَّا أنَّهُ أوقعَ الضدَّينِ فِي ثُنائِيَّةٍ تَقرنُ بينَ لَفظَينِ مُتنافِرينِ فِي الصُّورَةِ الظَّاهرةِ، والحالُ أنَّهُما تَوكيدٌ لغرضٍ مَا راحَ يَنشُدُهُ؛ فَهُم لَا يَغدِرونَ لِعجزِهِم عَن الغدرِ، ولَا يَفُونَ لِجارٍ لِلُؤمِهِم، فتَمَّ لَهُ بِهذا الجمعِ شَيئَانِ، الأوَّلُ: مَا أشرنَا إلَيهِ مِن خِدمَةِ المَعنَى وتحقِيقِهِ فِي نفسِ مُتلقِّيهِ، والثَّانِي: إشعَالُ جَذوَةِ حَماسَةِ المُتلقِّي بِإيقاعِ التَّضادِّ القائمِ فِي النَّظمِ.(٣١)

وجَرَتِ المُناقَضَاتُ بينَ ثلاثَةِ الشُّعراءِ المَذكورِينَ عَلَى تِلكَ الوتيرَةِ، مِن استغلالِ كلَّ مَا اتَّفقَ لَهُم مِن التَّصويرِ الإيقاعيِّ (دَاخِلِيًّا) مُمَثَّلًا فِي بعضِ أنواعِ البَدِيعِ كالتَّجنيسِ، والتَّصريعِ، والتَّذييلِ، والطِّباقِ، والمُقابَلَةِ، و(خَارِجيًّا) مُمَثَّلًا فِي، الأوزانِ المُختارَةِ بِعنايَةٍ لِتُناسِبَ البَحرُ والغَرَضَ مِن النَّظمِ، والقَوافِي لِشدَّةِ وقعِهَا فِي أُذُنِ المُتلقِّي، وقُوّةِ مدلولِهَا عَلى مَا سِيقَ تَحتَهَا مَن المَوضُوعَاتِ .

٤- الاستِعدَادُ الفِطرِيُّ لِخَوضِ التَّجرِبَةِ الشَّعرِيَّةِ:

وَمَعَ مَا يَتمتَّعُ بِهِ أيٌ مِن هَؤلاءِ الشُّعراءِ مِن الموهِبَةِ وَامتلاكِ الأدواتِ، والقُدرَةِ عَلَى اللَّجِّ فِي مُحيطِ التَّهاجِي الهَادرِ، يَنبغِي أن يَكونَ -إلَى جَانبِ هَذِهِ المُقَوِّماتِ- قَادِرًا عَلَى تَوظِيفِهَا فِي مَحالِّهَا الَّتي هِي بِهَا أَولَى، ولَن يَقدِرَ عَلَى هَذا إلَّا بِتأهُّبِهِ الفِطرِيِّ؛ بِحيثُ يَكونُ الشَّعرُ مِن مَلَكَاتِهِ ومَواهِبِه الرَّاسِخَةِ فِي عُمقِ ذَاتِهِ، وَبِحَيثُ تتوَفَّرُ للتَّهاجِي الأجواءُ النَّفسيَّةُ والمُحَرِّكَاتُ الوُجدَانِيَّةُ المُلائِمَةُ لَهُ؛ لِيستَطِيعَ الشَّاعرُ تَطويعَهُ وَفْقَ إرادَتِهِ فِي السَّبِّ مِن جَانِبِهِ وَحْدَهُ، أو التَّسابِّ بِتبادُلِ التَّهاجِي بينَهُ وبينَ غيره مِن جَانِبَيْنِ، وَلا أقدَرَ عَلَى تَهيئَةِ هَذِهِ الأجواءِ المُشَارِ إلَيهَا؛ لِتوظيفِ هذِهِ المُقَوِّمَاتِ، مِن انتفاضِ حَمِيَّتِهِ، وَسَورَةِ غَضَبِهِ فِي دَاخِلِ نَفسِهِ، واحتِدَامِ جَذوَةِ الانتِقامِ فِي وُجدَانِهِ، مِمَّا يَضعَهُ أمامَ المَشهدِ قَبلَ الشُّروعِ فِي نَظمِ مِصراعٍ واحِدٍ مِن القَّصيدَةِ؛ فَيكونُ النَّظمُ تَابعًا لِانتفاضَتِهِ الداخليةِ المُتَوغِّلَةِ فِي تَضاعِيفِ ذَاتِهِ.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد (أ) - المجلد ٤٨ - آذار لسنة ٢٠٢٣

الخَاتِمَةُ

عُنِيَتْ تِلكَ الدِّراسَةُ الفَنِيَّةُ الأسلُوبِيَّةُ بِجانبٍ لَم يَطرقْهُ كَثيرٌ مِن البَاحِثِينَ فِي شِعرِ النَّقائِضِ لَدَى أكثر الشُّعراءِ اشتهارًا بِهِ، جَرِيرٍ، والفرزدَق، والأخطَلِ النَّصرَانيِّ، بِما لِهذا الجَانبِ مِن تَأثيراتٍ إبداعِيَّةٍ فِي التَّأطيرِ لِعلاقَةِ النَّصِّ بِصاحِبِهِ، ومَدَى مَا حَقَّقَهُ فِيهِ مِن نتائِجَ أعانَهُ عَلَى إبرازِهَا والتَّنفيسِ عَنهَا بِتلكَ التَّراكيبِ وهَذِهِ الأساليبِ الفَنِّيَّةِ، ذلكَ الحَشدُ مِن الوجدانِيَّاتِ المُلِمَّةِ بِهِ تِجاهَ أحدَهِم.

بِالإضَافَةِ إلَى ذلكَ مَا يَعكِسُهُ هَذا الجَانبُ النَّفسيُّ مِن آثارٍ إبداعِيَّةٍ تُعينُ عَلَى فهمِ تَاريخيَّةِ تلكَ النُصوصِ، وأسبابِ نظمِهَا، واتكاء الفرزدَق، وجَرِيرٍ، والأخطَلِ إلَيهَا فِي بَثِّ كَوامِنِ شُعورِهِم نَفسيًّا وَوجدَانيًّا فِيهَا، ونَفثِ جَذوَةِ الغضبِ المُتَّقِدَةِ فِي جَوفِ كُلٍّ مِنهُم مِن خِلالِهَا.

فَجاءَتِ الدِّراسَةُ وَفْقًا لِذلكَ مُقسَّمَةً لمباحث أربَعَةٍ، أسلفتُ الحَديثَ عنهَا مُفصَّلَةً فِي مقدمة البَحثِ، بِما لَا يَترُكُ لَنا فُسحَةً لِإعادَةِ ذِكرِهَا هُنا، وقَد أبرزتُ مِن خِلالِهَا أهمَّ المُؤَثِّراتِ النَّفسيَّةِ والدَّوافِعِ الوجدَانِيَّةِ البَاعِثَةِ عَلَى تَحريكِ أيٍّ مِن هؤلاءِ الشُّعراءِ نَحوَ هذا الابتكارِ الفَرِيدِ مُتَّخِذًا مِنهُ سَبيلًا لِصياغَةِ شُعورِهِ الدَفينِ فِي خَلَجَاتِ ذاتِهِ فِي خِطابٍ شِعريٍّ مُدرَكٍ لَا يَكادُ يَجتمِعُ مَعَ الهِجاءِ العَامِّ إلَّا فِي القليلِ مِن تَصوُّراتِهِ.

وَقد عَنونتُ تِلكَ الدِّراسَةِ بِـــ(البُعْدُ النَّفسِيُّ فِي نَقائضِ جَرِيرٍ والفَرَزدَق)، وصُغتُ مَادَّتَهَا فِيمَا ذكرْتُهُ فِي التَّقدِيمِ لَهَا، وكَانَ مِن أظهَرِ مَا تَوصَّلتُ إلَيهِ مِن نتائجَ فِيهَا:

١)سَبقُ بعضِ شُعراءِ العَربيَّةِ الجاهِلِيِّينَ إلَى شِعرِ المُناقَضَاتِ، وتَفوُّقُهُم زمنًا فِيهِ عَلَى جَرِيرٍ والفَرزدَق والأخطَلِ النَّصرَانيِّ، مِن أمثِلَةِ: (حَسَّانَ بنِ ثَابتٍ، وَقَيسِ بنِ الخَطِيمِ).

٢)امتِيازُ نَقائضِ جَرِيرٍ والفَرزدَق والأخطَلِ عَن سَابقَاتِهَا بِـــ: (الكثرة ، ووَفرَةِ المَادَّةِ الشِّعريَّةِ، والطَّلاوَةِ، وقُوَّةِ التَّأثيرِ، وَاجتِماعِ النَّاسِ عَليهَا، وَانتصَارُ بعضِهِم لِهَذا وبَعضِهِم لِذاكَ، وتَقارُبِ الشَّاعِرينِ سِنًّا، وصِلَةِ كُلٍّ مِنهُما بِصَاحِبِهِ، وتوفُّرِ الدَوافِعِ المُوجِبَةِ لِنظمِهَا، وَتجرُّدِ كِلَا الشَّاعِرَينِ عَن الأدَبِ القَاضِي عَلَيهِمَا بِالتَّراخِي عَن الترَّهات ...)

٣)اختِلافُ الصُّورَةِ الفَنِّيَّةِ فِي شِعرِ النَّقائضِ عَن شِعرِ الهِجاءِ فِي عُمومِهِ مِن عِدَّةِ أَوجُهٍ، ومِنهَا: (أنَّهَا تَهاجِ بَينَ شَاعِرَينِ أَو أكثرَ، القَضاءُ لِأحَدِهِمَا عَلَى الآخَرِ، رَدُّ مَعانِي اللَّاحِقِ عَلَى السَّابقِ بِأقذاعَ مِنهَا بِغَرضِ نَقضِهَا، اشْتِراطُ التِزامِ الوزنِ والرَّويِّ ذاتِهِ بينَ المُتَهاجِيَيْنِ).

٤)ضَرورَةُ تَوفُّرِ الأجواءِ النَّفسِيَّةِ، والوُجدَانِيَّةِ، والبِيئِيَّةِ اللَّازِمَةِ لاتِّقادِ قَريحَةِ الشُّعراءِ المُتَهاجِينَ؛ لِيتمَكَّنَ مِن الرَدِّ عَلَى صَاحِبِه.

٥)بُروزُ العَامِلِ النَّفسيِّ والوُجدَانيِّ تَحتَ ظِلالِ مَعَانِي شِعرِ النَّقَائضِ المُوظَّفَةِ فِيهِ، بِوصفِهِمَا مِن أهَمِّ بَواعِثِ الانتِقامِ، وأظهَرِ دَوافِعِ المُسَاجَلَةِ الشِّعريَّةِ بَينَ خَصمَينِ أَو أكثَر.

٦)العِلاقَةُ بَينَ الدَافِعِ النَّفسِيِّ والوُجدَانِيِّ والأساليبِ التَّعبيريَّةِ، ولُغَةِ النَّصِّ الشِّعريِّ، عِلاقَةٌ تَكامُلِيَّةٌ لَا انفصَالِيَّةٌ.

٧)اختِلافُ الخِطابِ الشِّعريِّ فِي النَّقائضِ عَن الهِجاءِ، اختِلافُ عُمومٍ وخُصُوصٍ.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١(أ) – المجلد ٤٨ – آذار لسنة ٢٠٢٣

قائمة الهوامشُ

[1]) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ،جـ/ ٤، ٣٢١، وينظر : وفيات الاعيان لابن خلّكانَ ، تَرجمة رقم ١٣٠ جـ/٤: ص٣٢٢ .
[2]) ينظر: م ، نفسه .
[3]) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، جـ/٢ ص ١١٤
[4]) شرح نقائض جرير والفرزدق ، ابو عبيدة معمر بن المثنى ، ص١٥٧
٥) ديوان جرير بن عطية الخطفي ، ج/٢ ، ص ٥٥٦ ، وينظر شرح نقائض جرير والفرزدق ابو عبيدة معمر ابن المثنى ص١٥٨ .
[6]) ديوان حَسَّانُ بنُ ثَابتٍ، ص٤٦
[7]) م ، نفسه ، ص ٤٥
[8]) م ، نفسه ، صَ ١٤٧
٩) م . نفسه
١٠) ينظر ، دِراسَةٌ تَأصِيلِيَّةٌ للقَواعِدِ الإجمَالِيَّةِ فِي النَّقدِ واللُّغَةِ، محمد حمدي الشعار: ١٣٤
١١) طبقات فحولة الشعراء: ص١١١
١٢) الشِّعرُ والشُّعراءِ، ابنُ قُتَيبَةَ الدَّينوري : ص٤٨٢
[13]) م ، نفسه ، صَ ١١١
[14]) طَبقاتُ فُحولَةِ الشُّعراءِ: صَ ١٢٢
١٥) ديوان جَريرُ: ص ٢٠٥
[16]) ينظر ، مُعجَمُ البُلدَانِ، يَاقوتُ الحَمويُّ : جَـ/ ٩، ص ٥٧٦
[17]) الخصائص الفنية في شعر الفرزدق ، شاكر الفحام : ص٣٠١
[18]) ديوان جَريرُ: جـ/١، ص ٦٦١ .
[19]) ديوان الفرزدَقُ،: جـ/١، ص٢٣٤ .
[20]) المَعارِفُ فِي التَّارِيخِ، ابنُ قُتَيبَةَ الدَّينوريُّ، صَ ٥٣٦
[21]) ينظرالعُمدَةُ فِي نَقدِ الشِّعرِ ، ابنُ رَشيقٍ القَيروانيُّ،: صَ ٩٥
[22]) الشعر والشعراء، ابن قتية الدينوري : جـ/١، ص ٤٦٧ وما بعدها
٢٣) الكامِلُ فِي اللُّغَةِ وَالأَدَبِ ، للمُبَرِّدُ : صَ ٣٤٤ ، والشِّعرُ والشُّعراءِ، جـ/١، ص ٤٦٧
[24]) الشِّعرُ والشُّعراءُ: ص٤٧٩
[25]) ينظر ، الأنَا والآخرُ فِي شِعرِ الفَرزدَقِ، تَغريد عدنان محمود ، مجلَّةِ كليةِ التربيةِ الأساسيَّةِ / جامِعَةِ بَابل، المجلّد/ ١، العدد/ ٩، ص ١٦
[26]) شرحُ نقائضِ جريرٍ والفَرزدَقِ، أبو الحسن الواحدي النِّيسابوري، جـ/٢: ص٤٤٦
٢٧) ينظر ، الشعر والشعراء، جـ/١، ص٤٦٦
[28]) ينظر ، م ، نفسه
[29]) ينظر ،حالأَغَانِي، أبُو الفَرجِ الأصفهَانيُّ، جـ/ ٢٠: ص ٤٠٥
[30]) ديوان الفَرزدَقُ ، جـ/٢: ص٧٨، وتَحريرُ التَّحبيرِ، ابنُ أبِي الإصبعِ المِصريُّ، ص١١٣
[31]) ينظر، تحرير التحبير ، ص: ١١٣

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١(أ) – المجلد ٤٨ – آذار لسنة ٢٠٢٣

المصادر والمَراجعُ

١- ابنُ أبِي الإصبعِ المِصريُّ، تَحريرُ التَّحبيرِ، لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف ، مصر، ٢٠١٤، تح. د.حنفي محمد شرف.

٢- ابنُ خلِّكان، وَفِيَّات الأعيانِ وأنباءُ أبناء الزمان، دار الفكر، دمشق، سوريا، تحقيق/ لجنة تحقيق التراث بالدار، ٢٠٠٠.

٣- ابنُ رَشيقٍ القَيرَوانيُّ، العُمدَةُ فِي نَقدِ الشَّعرِ، مكتبة الخانجي، القاهرة، تح . د. النبوي عبدالواحد شعلان، ط / ١ ، ١٤٢٠ هـ.

٤- ابنُ سلَّام الجُمحي، طبقَاتُ فُحولِ الشُّعراءِ، المدني، القاهرة، تحقيق أبو فهر محمود شاكر، (د. ت).

٥- أبو الحسن الواحدي النِّيسابوري، شرحُ نقائضِ جريرٍ والفَرزدَقِ، نُسخَة مُصوَّرة ، (د - ت) السنة، ١٩٩٨

٦- أبو عُبيدَةَ مَعمَرُ ابنُ المُثنَّى، شَرحُ نَقائضِ جَريرٍ والفَرزدَقِ، المجمعِ الثقافي، أبو ظبي الإمارات، تـ: محمد إبراهيم جور، ١٩٩٨.

٧- أبو الفرجِ الأصفهانيُّ، الأغاني، الهيئة العامَّة للكتاب، القاهرة، بعناية محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢٠٠٣.

٨- جَرِيرُ بنُ عَطيَّةَ الخَطَفَى، الدِّيوانُ، نشرةُ الدَّار التوفيقية، تـ لجنة تحقيق التراث بالدار، سنة الطبع، ٢٠٠٥.

٩- حَسَّانُ بنُ ثَابتٍ، الدِّيوانُ، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق وشرح ا. جبرا مهنا، الطبعة الثانية، ١٩٩٤.

١٠- الذَّهبي، سَير أعلام النُّبلاء، دار الصَّفا، القاهرة، تحقيق ابن الجميل، ٢٠١٦.

١١- شاكر الفحام، الخصائص الفنية فِي شعر الفرزدق، دار الفكر، سوريا، ١٣٩٧ هـ.

١٢- عبد اللهِ ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ذخائر العرب، القاهرة، تحقيق د. أحمد محمد شاكر، ٢٠٠١٧.

١٣- عبدُ اللهِ ابنُ قُتيبةَ الدِّينوريُّ، المَعارِفُ فِي التَّاريخِ، الهَيئةِ العامَّةِ لقصورِ الثَّقافَةِ، القاهرة، تَحقيق/ د. ثَروت عُكاشة، ٢٠٢١.

١٤- قَيسُ بنُ الخَطيم، الدِّيوانُ، دَارُ الجيل، بيروت، تحقيق/ عادل عبد الموجود، ١٩٨٩ .

١٥- محمد بن يزيد المُبَرِّدُ، الكامِلُ فِي اللُّغَةِ وَالأدَبِ، دار الفكر العربي، بيروت، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٩٧.

١٦- مَحمد حَمدِي الشَّعَّار، دِراسَةٌ تَأصِيلِيَّةٌ للقَواعِدِ الإجمَالِيَّةِ فِي النَّقدِ واللُّغَةِ، دار المثقفون العرب، القاهرة ، ٢٠١٦.

١٧- همام بن غالب الفرزدَقُ، هَمَّامُ بنِ غَالِبِ بِن صَعصَعَةَ، الدِّيوانُ، دار الكتب العلمية، بيروت، تـحقيق/ علي فاعور، ط / ٣ ، ٢٠٠١.

١٨- يَاقوتُ الحَمويُّ، مُعجَمُ البُلدَانِ، دار صادر، بيروت، تحقيق لجنة تحقيق التراث لدى الناشر، (د. ت) .

المجلات والدوريات

- الانا والاخر في شعر الفرزدق ، تغريد عدنان محمود ، مجلة كلية التربية الاساسية ، جامعة بابل ، م/١،ع/٩، ٢٠١٢

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد (أ) - المجلد ٤٨ - آذار لسنة ٢٠٢٣